الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة غليزان
Université de Relizane

كلية الآداب واللغات
Faculty of Letters and Languages
RELIZANE UNIVERSITY

جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

التخصص: لسانيات عامة

الاكتساب اللغوي في الدرس اللساني الحديث

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبة:
بلمعمر خيرة

إشراف الدكتورة:
بن عدة فاطمة

لجنة المناقشة:

1- د/ بويش نورية	جامعة غليزان	رئيسا
2- د/ بن عدة فاطمة	جامعة غليزان	مشرفا ومقررا
3- د/ مهدي فاطمة	جامعة غليزان	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1445/1444هـ

2024 -2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

على قول رسولنا الكريم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" صدق رسول الله ﷺ.

أحمد الله على إحسانه وأشكره على توفيقي وأمتن له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله.

بعد شكر الله تعالى على توفيقي لإتمام هذا البحث المتواضع أتقدم بجزيل الشكر إلى والدي الكريمين، وأتوجه بالشكر الخالص إلى من شرفتني بإشرافها على مذكرة بحثي الدكتورة المحترمة "بن عدة فاطمة" ولتوجيهاتها العلمية القيمة لي في إتمام هذا البحث، كما أتوجه بشكري إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي، بجامعة غليزان.

كما لا يفوتني أن أتقدم بشكري إلى جميع زملائي سواء في العمل أو في الدراسة، وأقدم شكري أيضًا إلى «كل إنسان يستطيع مساندة غيره ولو بكلمة طيبة».

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

الطالبة: بلمعمر خيرة

إهداء

يُهدى هذا العمل إلى:

والديّ وعائلتي.

إلى الأستاذة الكريمة الدكتورة المشرفة على عملي "بن عدة فاطمة"

إلى كل زملاء العمل وكل زملاء الدراسة.

إلى كل الأساتذة والمعلمين الذين تتلمذت وتعلمت على أيديهم من الابتدائي إلى الجامعة.

إلى كل من ساندني ولو بكلمة طيبة من قريب أو بعيد.

"والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"

الطالبة: بلمعمر خيرة

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

فهرس المحتويات

مقدمة.....أ

مدخل: ماهية الاكتساب–اللغة، العوامل والأهمية **5**

الفصل الأول: نظرات القدماء في الاكتساب اللغوي **22**

تمهيد.....23

المبحث الأول: الاكتساب اللغوي عند ابن جنّي 24

المبحث الثاني: الاكتساب اللغوي عند ابن رشد.....27

المبحث الثالث: الاكتساب اللغوي عند ابن خلدون.....31

المبحث الرابع: الاكتساب اللغوي قديما عند أبي نصر الفارابي 39

الفصل الثاني: نظريات الاكتساب اللغوي في الدرس اللساني الحديث.....**51**

تمهيد.....52

المبحث الأول: النظرية السلوكية 53

المبحث الثاني: النظرية العقلية (الفطرية – البيولوجية) 67

المبحث الثالث: النظرية المعرفية.....79

خاتمة.....**90**

قائمة المصادر والمراجع.....**94**

ملخص

مقدمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ

منذ القدم والإنسان مرتبط بالعلم والمعرفة والبحث فيهما، خاصة وأن أهمية وقيمة أي علم تكمن في مدى إفادته للإنسان وتسهيل حياته في المجتمع، ومن بين هذه المعرفة هي معرفة اللغة ودراستها على مر العصور هذه الظاهرة التي اشغلت الكثير من الدارسين والباحثين العرب والغرب على حد سواء، وبحثوا في كيفية اكتسابها والتعمق فيها، فتفرعت البحوث حولها، ما أسفر عن العديد من المؤلفات والكتب والمقالات نذكر منها المقدمة لابن خلدون، مباحث في اللسانيات لأحمد حساني، علم اللغة النفسي لعبد العزيز إبراهيم العصيلي، دراسات في اللسانيات التطبيقية لأحمد حساني، تطور اللغة عند الأطفال لنبيل عبد الهادي، اكتساب وتنمية اللغة لخالد محمد الزواوي، لسانيات النشأة والتطور لأحمد مومن، ناهيك عن الاتجاهات والمدارس وكونها المحور الأساسي للكائن البشري الذي ميزه الله بها عن سائر خلقه، ونظرا لأنها الظاهرة المميزة التي بها يمكن الحصول على المعرفة، وبدونها لا يمكن الحصول عليها، كانت و أصبحت محط الاهتمام منذ الأزل، وانطلاقا من هذه النظرة نجد فهم ماهية اللغة وكيفية تعلمها واكتسابها وتطورها للاستفادة منها.

يعد موضوع اكتساب اللغة موضوعًا مهمًا شغل بال العلماء والدارسين ولأهميته ارتأينا اختياره وتقديم نتائجهم حوله ولو بالقدر القليل، وذلك من الزمن القديم أو الزمن الحديث، وحاولنا أن نقف عند عوامل اكتسابها وهذا بالاطلاع على أهم جهودهم حول هذا الموضوع، بداية من طرح تعاريفها وماهيتها خصوصا وأنها خاصية مرتبطة بالإنسان، فموضوع دراسة اللغة موضوع واسع، ومهم

تواصلت البحوث حول كيفية اكتسابها وماهيتها، فلن يصلوا أبدا إلى نقطة النهاية، وأنه وبعد انقضاء عهود ولم تنتهي طرح الاشكاليات حولها وإيجاد الجديد المتعلق بها وفي بحثنا هذا نطرح إشكالية أهم الطرق المجدية التي تساهم وبشكل كبير في كيفية اكتساب الإنسان لملكة لغوية تمكنه الولوج في عالمه الاجتماعي، وسنطرح إشكالية اختلاف آراء العلماء سواء القدماء أو المحدثون حول اكتساب اللغة، ومدى وصول آرائهم هذه إلى أهم ركائز حصول الملكة اللسانية وما هي معيقاتها حسب اختلاف أزمانهم وعصورهم، وقد سمحت لنا هذه الدراسة طرح لإشكالية البحث في الاكتساب اللغوي من خلال وقوفنا علة آراء ونظرات روّاد تاريخ العرب قديما حول اللغة ودراسات رواد الغرب لها أيضا بعد ذلك، وهنا يمكننا القول: هل تتم عملية الاكتساب اللغوي بمجرد نشأة الفرد في بيئته واكتساب لغته الأم دون اعتماده على عوامل أخرى؟ أو هل يتحصل الفرد على ملكته اللسانية بمجرد أنه إنسان عاقل ونموه الفيزيولوجي يقتضي بالضرورة نموه الفكري واللغوي؟ أم أن التعلم هو سبيله الوحيد في كسبه التحصيل اللغوي؟ تعددت دراسات العرب والغرب حول هذا الموضوع وكان لكل منهم رأيه، ونحن بتطرقنا لهذه الدراسات سنتناول آرائهم ونبرز أهم ما جاءوا به حول فهم اللغة وماهيتها وكيفية اكتسابها.

وعلى ضوء هذه الدراسات اعتمدنا المنهج الوصفي وآلية التحليل فقط لتوضيح آراءهم واختلافاتهم حول اللغة وكذلك المنهج التاريخي.

انتهجنا خطة بحث أردنا فيها الإلمام بكل ما يتعلق بمضوع الاكتساب اللغوي، فأولا عرّجنا بمدخل ذكرنا فيه الاكتساب وماهيته واللغة وماهيتها، وخصصا ومضة للغة والاكتساب في القرآن الكريم، كما ذكرنا عوامل الاكتساب اللغوي وأهميته، لننتقل بعدها إلى وضع فصلين، خصصنا الفصل الأول بأربعة مباحث تناولنا فيها أراء القدماء حول الاكتساب اللغوي، أما الفصل الثاني خصصناه للدراسة الغربية حول الاكتساب اللغوي، وفيه ثلاث مباحث طرحنا فيها أفكارهم وآراءهم ونتائج بحوثهم، وفي النهاية هدفهم كان واحد وهو الوصول إلى كيفية إتمام عملية التواصل الإنساني.

ومما لا شك فيه أن عملنا هذا لا هو أول بحث ولا آخره حول موضوع الاكتساب اللغوي، إنما هناك العديد من الدراسات السابقة والتي لحد الآن هي متواصلة.

لقد اعتمدنا بعض المصادر والمراجع المعتمدة في إعداد هذا البحث المتعلقة به خاصة وكما قلنا أن نتائج بحوث الدارسين أسفرت عن العديد من الكتب والمؤلفات والدواوين والمجلات والمقالات التي لا تعد ولا تحصى حول هذا الموضوع.

ومن الجميل أنه لم تكن هناك صعوبات أو عراقيل كثيرة حول وجود المادة أثناء البحث، والمعرفة لهذا الموضوع، بوجود وسائل الاتصال، وكذلك عامل الإنترنت، غير أنه لا زالت الكتب القيمة غير متاحة في مواقع البحث، وأيضا قلة المكتبات المعتمدة والتي يُمكنها توفير كلّ ما من شأنه إيجاد ما يحتاجه كل باحث من الكتب المعتمد عليها في دراسته أو بحثه.

وسنصل إلى ختام بحثنا الذي من خلاله نبرز دراسة موضوع الاكتساب اللغوي، وأشكر الأستاذة المشرفة على هذا العمل الدكتورة بن عدة فاطمة وعلى مجهوداتها القيمة في توجيهي ومساندتي طيلة انجازي له.

يلل في: 2024/05/21

الطالبة بلمعمر خيرة

مدخل: ماهية الاكتساب–اللغة، العوامل والأهمية

مدخـل

خلق الله بني آدم وكرّمه وميّزه بالعقل عن سائر خلقه وعلّمه ما لم يعلم وأعطاه القدرة على التعبير عمّا يريده وعن عواطفه، وهذه القدرة تسمّى اللغة التي من خلالها يتواصل بها مع غيره، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله: "**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**"[1]، وهنا يقصد باللغو الباطل.

وفي قوله أيضا: "**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**"[2]

اللغة خاصية إنسانية كونها أداة تشتغل وفق خوارزميات منطقية حاول العلماء وصفها منذ القديم وبيان أصلها وأصل وضعها ورصد مختلف مراحل تطورها قصد الاستفادة منها سواء لوصفها الفكر الإنساني أو سواءً لأنها تساهم في فهم الأشياء والموجودات للإنسان، لقد كانت أهم ما بُحث ويُبحث وسيُبحثُ في الدراسات العلمية عامة، خاصة وأنه لا يمكن فهم المعرفة ولا يمكن إنتاج أو إعادة إنتاج أي معرفة علمية دون قوالب لغوية كائنة وممكنة، ومنذ القدم أجريت الدراسات والبحوث حول كل ما يتعلق باللغة من: صوت ولفظ وقول، وجملة...إلخ وما هو متعلق بالإنسان خاصة لإيجاد علاقة الكلام بمدلوله، وقد وُضع الكلام دلالة على ما يريد الإنسان الوصول له، خاصة وأنه متمدّن بطبعه وفي حاجة دوما إلى ما يدل على محل حاجاته، وبشأن هذا الموضوع تضاربت الآراء واختلفت التصورات والمفاهيم حول اللغة وتعدّدت المحاور في فهمها.[3]

---

1 سوره المؤمنون الآية 03

2 سوره الفرقان الآية 72

3 ينظر، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، جزء 01، منشورات المكتبة العصرية صيدا –بيروت، ص 36.

ولأن اللغة هي المحور الأساسي الذي يرتكز عليه الإنسان في كل الموجودات سنتناول موضوع اِكتسابها وسنحاول الإحاطة بكل ما يتعلق بها.

أولا: تعريف الاِكتساب

أ/ لغة

كَسَبَ– لأهله كسْبًا: طلب الرّزق والمعيشة لهم، والشيء جمعه والمال كَسْبًا، وكِسْبًا: ربحه فهو كَاسِبٌ، جَمْعُ كَسَبةٌ وهو كسَّاب، وكَسُوبٌ، والإثم: تحمّله، وفي التنزيل الحكيم "ومن يَكسبْ خطيئة أو إثمًا ثمّ يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا"، وفلانا مالا أو علما أو غير ذلك: أناله، (أكْسَبَ) فلانا مالا أو علما: أعانه على كسْبِه أو جعله يَكْسِب، واِكتسبَ؛ تصرّف واجتهد، والمال ربحه، والإثم تَحمَّله وفي التنزيل الحكيم "لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت" (تكسّب): تكلّف الكَسْبُ، والمال: ربحه، يقال: هو يتَكسَّب من الشّعر والكسبُ عصارة الدُّهن، وثُغل بروز القطن والكتّان والسمسم بعد عصرها. والكواسِب: الجوارح من الإنسان والطّير، مفرده كاسِبة، والمِكْسبُ ما يُكْسَب (ج) مَكَاسِبُ.[1]

كَسَبَهُ يَكْسِبُهُ كَسْبًا وكِسْبًا، وتكسَّب واِكتَسَبَ، طلب الرِّزق، أو كَسَب، أصاب، واِكْتَسَبَ: تصرّف واِجتهد، وكسبَه: جَمعَه، وفلانًا مالاً كَأَكْسبَهُ إِيَّاهُ فَكَسَبه هو، وفلان طيّب المكْسَبِ والمِكْسِبِ والمِكْسِبَة، كالمِغْفِرَة، والكِسْبَة، بالكسر، أي: طيّب الكَسْبِ، ورَجُلٌ كَسُوبٌ وَكَسَّاب،

1 المعجم الوسيط المؤلف، مجمع اللغة العربية، ط 04، مكتبة الشروق الدولية 2005، ص 786.

وكالتّنور نبت، (والشيء) وكَسابِ، كقطام الذئب، وكَسْبةُ: من أسماء إناث الكلاب، والكواسِبُ: الجوارح.[1]

ب/ اصطلاحا

لقد فُرِّقَ ما بين الطبع الأول ولين الاكتساب والعادة التي تصير طبعًا ثانيا، إن معنى الاكتساب هو أن يقع الشيء بقدرة محدثة فيكون كسْبًا لمن وقع بقدرته، الاكتساب: هو الفعل الذي يُكتسب به لنفسه خيرا أو شرًّا أو ضرًّا أو نفعا، أو صلاحا أو فسادًا، والمكتَسَب غير الاكتساب، لأن الاكتساب هو تجارته وبيعه وشراءه، والمكتَسَب هو المال، ولذلك لا يوصف تعالى بالاكتساب. قال (أبو علي) وقد يكون من فعل العبد ما هو مُكتسب إذا كان خيرا أو شرًّا اجتلبه بغيره من الأفعال. ومعنى الاكتساب: الاستفادة وان كانت الاستفادة تُستعمل في النفع فقط.[2]

إنَّ الإنسان يصحّ منه اكتساب الحركة والسكون والإرادة والقول والعلم والفكر، وما يجري مجرى هذه الأعراض التي ذكرناها وعلى أنه لا يصحّ منه اِكتساب الألوان والطعوم والروائح والادراكات وأُجمع على أنَّ الحركة والسُّكون يصحّ اِكتسابَهما وكذلك الإرادة والعلم والاعتقاد والجهل والقول

1ينظر، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط الحديث، قسم المعاجم والقواميس، راجعه: أنس محمّد الشامي وآخر، 1429 هـ-2008 م، دار الحديث، القاهرة، ص 1414.

2 ينظر، سميح دغيم، كتاب موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، جزء 01، مكتبة بيروت، لبنان، طبعة 01، 1998، ص 192.

والسُّكوت والكفر، وأجمعوا على أنّه لا يصحّ منا اكتساب الألوان والطّعوم والروائح والقدرة والعجز والسّمع والبصر والصّمم والرّؤية والعَمَى والخَرَسْ واللّذة والأجسام.[1]

ثانيا: تعريف اللغة

أ/ لغة

(لَغَا) في القول –لَغْوًا: أخطأ وقال باطلا، ويقال: لَغَا فلان لغوًا تكلّم باللّغو ولغا بكذا: تكلّم به، (لغي) في القول لغًا: لَغَا، (لاغَاه) مازحه، (اِستلغاه): استنطقه، (الالغاءُ): في النحو إبطال عمل العامل لفظا ومحلا في أفعال القلوب التي تتعدى إلى مفعولين. (اللّاغية): ما لا يعتدّ به ولا يُحصَل منه على فائدة ولا نفع وكلمة لاغية: فاحشة، وفي التنزيل الحكيم **"لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً"**. (اللغا): ما لا يعتدّ به، يقال تكلّم باللّغا. (اللّغة): أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، جمع لغى ولغات. ويقال سمعت لغاتهم: اختلاف كلامهم (اللغو): ما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع، والكلام يبدر من اللسان ولا يراد معناه، ومنه اللغو في اليمين، وهو ما لا يعقّد عليه القلب، مثل قول القائل لا والله، وبلى والله، وما لا يُحسب في العدد في الدّية والبيع ونحوهما لصغره.[2]

اللّغة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، ج: لُغَات ولُغُون، ولغَا لغوًا: تكلّم، وخاب – وألغاه: خَيَّبَه – واللّغو واللَّغا كالفتى: السّقط وما لا يعتدّ به من كلام وغيره، كاللّغوى، كَسَرَى والشاةُ لا يعتدُّ بها في المعاملة **"لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ"** –البقرة 225– أي بالإثم في الحَلِفِ إذا كفّرتم –

1 ينظر، سميح دغيم، كتاب موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، ص 193.

2 المعجم الوسيط – المؤلف مجمع اللغة العربية، ص 831.

ولغى في قوله: كَسَعى ودَعا– لَغا ولاغية ومَلْغَاةً أخطأ. وكلمة لاغية أي فاحِشة، لَغَا: لَهَجَ به– واستلغِ العَرَبَ: اِستمع لُغَاتِهم من غير مسألة.[1]

ب/ تعريف اللغة اصطلاحا

لقد اختلف العلمة قديما وحديثا في تحديد تعريف محدّد للغة وهذا بسبب اِرتباط اللغة بالكثير من العلوم.

عرَّفها ابن جني: "أمَّا حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم".[2]

وعرّفها ابن خلدون: "هي عبارة المتكلّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بالإفادة للكلام".[3]

وعرَّفها دي سوسير: "أنّها نظام من الرّموز الصوتية" أو نظاما من العلامات الصوتية أو جزء من العلامات (السيمولوجيا).[4]

1 ينظر، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط الحديث، ص 1478.

2 ينظر، محمد علي النجار، كتاب الخصائص، ط 3، 141، الهيئة المصرية العامة للكتاب ج 1، ص 24.

- ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني عالم نحوي ولد بالموصل 322 هـ، وعالم لغوي عربي توفي 392 هـ.

3 بنظر، ابن خلدون، كتاب المقدمة، ط 04، بيروت، دار الكتب العلمية، ج 1، ص 83.

- ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون الخضرمي المكنى بأبي زيد، ولد بتونس (732–808 هـ)، عالم موسوعي، عالم بالفقه ومؤسس علم الاجتماع، عالم بالتاريخ والمعارف.

4 ينظر، عبده الراجحي، كتاب فقه اللغة في الكتب العربية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية وبيروت العربية، ص 61.

- (دي سوسير عالم لغوي حديث ولا بجنيف (1857 - 1913) مؤسس المدرسة البنيوية في علم اللسانيات).

اللغة: (langage): الملكة الإنسانية المتمثلة في تلك القدرات التي يمتلكها الإنسان والتي تجعه يتميز عمّا سواه من الكائنات الأخرى.[1]

– اللغة في القرآن الكريم وأدلّة اختلافها فيه:

قال الله تعالى في القرآن الكريم بعض آيات عن اللغة دلّت على اِختلافها منذ القدم اختلاف القبائل والمجتمعات فمثلا في قوله تعالى: **"لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا"** يعني غيّا بلغة عمان وقال تعالى: **"إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا"**، يعني تجنبا بلغة حمير وقال تعالى: **"وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا"**[2] يعني من وجوههم بلغة هذيل وقيس عيلان وكنانة هذا وقوله تعالى: **"وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ"**[3]، يعني اختلاف اللغات وهناك آيات قرآنية كثيرة ذكرت فيها كلمة اللغة بلفظ اللغو، الحمد الله أن القرآن جاء باللغة العربية شرف الأمة العربية قولا محفوظا في قوله تعالى: **"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"**[4] وقوله تعالى: **"وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ"**[5] وأدلة القرآن في اِختلاف اللغات أصدقها، لكن التطور الحاصل عبر مر العصور والتحوّلات والتغييرات التي طرأت منذ القدم إلى الآن دعت الضرورة إلى تعلّم اللغات المختلفة تحقيقا لبلوغ التواصل بين الأفراد بمختلف الدول والمجتمعات وكذلك تبادل المعارف والعلوم عبر الترجمة ومختلف الوسائل التي تتيح ذلك، مما دعا إلى تعلم اللغة الثانية واكتسابها.

1 ينظر، أحمد حساني، كتاب مباحث في اللسانيات، ط 2، 2013، دبي الكرامة الامارات العربية المتحدة، ص 33.
2 سورة آل عمران، آية 118، آية 122، آية 125.
3 سورة الروم، الآية 22.
4 سورة الحجر، الآية 09.
5 سورة الأحقاف، الآية 12.

عوامل الاكتساب اللغوي

أولا: البيئة

عندما يعيش الطفل في بيئة معينة يكتسب لغة والديه أو مربيته أو أقرانه التي يتلقاها منهم بشكل طبعي. وهذا ليس له علاقة بالوراثة، لأن اللغة لا تورث بل سيكتسب اللغة التي تلقاها في نشأته وهي تسمى اللغة الأم سواء أكانت من لغة أبائه أو أجداده، هذه حقيقة حول اكتساب اللغة الأم، لا يختلف فيها الباحثون في علم اللغة.[1]

فالطفل ومنذ وجوده في أسرته يكتسب لغتهم كيفما كانت ويسعى إلى تطويرها وتحصيل معارفه بها، كما أن أسرته تهتم به وتراقبه وتعلّمه لتنمية لغته وتصويبها له، فالرضيع يصدر أصوات متنوعة تفهمها الأم، وبعدها يناغي مناغاة تلقائية تكون عشوائية غير مترابطة دون أن يكون من سيستجيب لصوته، بعدها يستطيع أن يصدر أو ينطق حروف حلقية مثل "أ" ثم الشفوية مثل م – ب ثم يجمع بينها و ينؤطق في بداية كلامه كلمات مثل : بابا أو ماما حتى يتسنى مرور الوقت بمجهودات والديه إلى اكتساب لغتهم وفهم إشاراتهم له وكلامهما، ولكن يجدر بنا الإشارة هنا إلى أن يحدث للطفل العادي أي الخالي من بعض المعوّقات الصحيّة التي تمنع عنه هذا النمو اللغوي، وهذه عوامل وهناك عوامل أخرى سنذكرها.[2]

1 ينظر، الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، كتاب علم اللغة النفسي، 1427 هـ/ 2006، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة 01، ص 217.

2 ينظر، نبيل عبد الهادي وآخرون، كتاب تطور اللغة عند الأطفال، ط 1، 2008، مكتب بيروت، ص 85.

ثانيا: الوضع الصحي والحسي للفرد

هناك فروق فردية بين الأطفال فهناك الصحيح السليم وهناك العليل، وإن صحة الإنسان والقدرة على النشاط الوظيفي هو أساسي حيث النشاط الوظيفي ينعكس على مستوى فاعلية الوظائف، ما تعطي قيمة النشاط، الفاعلية والإقتدار وهذا ما يسمى بالصحة النفسية الوظيفية، فالطفل الصحي هو القادر على إستغلال طاقاته في أنشطة نمائية إنجازيه تحقق له التقدم وبناء نفسه لخدمة احتياجاته في كل مراحل نموه من تعلم ولعب ومتعة وعلاقات.[1] فمستوى الصحة لدى الأطفال يتدخل في مقدار اكتساب اللغة والسيطرة عليها وتتعدد المجالات التي تتعلق بالصحة وتؤثر على اللغة منها الصحة البدنية أيضا فالفرد الأصم والأبكم لا يستطيع التحصيل والاكتساب لفقدانه نعمتي السمع والنطق.

ما أن سلامة جهاز الكلام والنطق وسلامة حاستي السمع والبصر والجهاز العصبي يعدّ أمر ضروري للنمو اللغوي وتطوره إذ لا يمكن للطفل التعرّف والمعرفة دون سمع اللفظة وتوظيفها كما أن اتصاله سواء بأسرته أو بأفراد مجتمعه لن يفهم ما يدور بينه وبينهم دون السمع والبصر.[2]

1 ينظر، كتاب الصحة النفسية منظور ديناميكي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة، ط 2، 2004، الناشر المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ص 54.

2 ينظر، نبيل عبد الهادي وآخرون، كتاب تطور اللغة عند الأطفال، ص 37.

ثالثا: العمر الزمني والجنس

لقد تبين في بعض الدراسات اللغوية فروق بين القاموس اللغوي عند المرأة والقاموس اللغوي عند الرجل، لكن أولا نتحدث عن عامل العمر الزمني، الذي يعني النمو العضوي للإنسان، وما ينتج عنه من مظاهر مثل مستوى طموح الفرد، فالإنسان فطريا يولد وهو على استعداد النمو والتطور، فيولد الطفل ويتعلم لغة الكلام القومية وبعد ما يتعلم يتلقى معارف وهي متطابقة مع قوانين اِكتساب العادات والتقاليد الأسرية والاجتماعية، ضمن إطار العلاقات المثيرة والاستجابات، ولأن عملية اكتساب اللغة تخضع لمراحل زمنية مختلفة تبعا لمطالب النمو في مرحلة المهد والطفولة المبكرة من الميلاد وحتى ست سنوات، فهذا يعني أن كلما كبر الإنسان كبرت واِتسعت دائرة خبرته.[1]

وكما قلنا بأن بعض الدراسات التي أجريت سابقا تبيَّن من خلال نتائجها أن قاموس المرأة اللغوي مختلف عن القاموس اللغوي لدى الرجل بالنسبة لعامل الجنس في الاكتساب اللغوي وهذه الفروق توضّحت بدلالة على أن للمرأة أنماط خطابية والفاظ تعبيرية وإبلاغيه معينة لا نجدها في قاموس اللغة عند الرجل وهذه الأنماط التعبيرية تتمثل في العواطف والأحاسيس عند المرأة، وتظهر جلّيًا في مرافق الحياة الاجتماعية. ولكن فيما بعد وبعد السنين الأولى الست تتلاشى ليكون التعادل والتماثل بين الجنسين.[2]

1 ينظر، خالد محمد الزواوي، كتاب اكتساب وتنمية اللغة، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط 1، 2005، ص 27.

2 ينظر، نبيل عبد الهادي وآخرون، كتاب تطور اللغة عند الأطفال، ص 36.

رابعا: النضج

يتصل تعلم اللغة بالنضج لأنه هو النمو الداخلي الذي يشمل جميع جوانب الكائن الحي، وهو حدث طبيعي غير إرادي يواصل الإنسان بعالمه خارج إرادته، بينما التعلم عملية إرادية في الغالب بخاصية ويظهر التعلّم وينعكس على مظاهر السلوك المكتسب، وقد يكون النضج متعلق بالعوامل الوراثية الخاصة بالفرد، في حين يرتبط التعلم والخبرة المكتسبة بظروف البيئة التي تحدث فيها عملية التعلّم، والنضج يتعلق بمراحل نمو الطفل من حيث نموه العضوي والعاطفي والاجتماعي، وكل هذا يجتمع لبناء الأرضية الاستعدادية في عملية التعلّم، وكذلك الأسس التي يمكن لنا حصرها في العناصر التالية:

1. اِكتمال النضج العضوي للمتعلم.
2. خبرة المتعلم السابقة وقدرته على الاستفادة من الأفكار واستثمارها.
3. قدرة المتعلم على التفكير المجرد، وتجاوز العوائق والصعوبات وكذلك تذكر الأصوات والدلالات.
4. القدرة السمعية والبصرية التي يستفيد منها المتعلم على التمييز بين الأشكال المرئية وربطها مع السمعية.

ومن هنا نفهم بأن النضج أهم عامل نفسي يؤدي إلى عملية التعلم من أجل اِكتساب ما يحقق الغاية المتوخاة للفرد في عملية الاكتساب.[1]

1 ينظر، أحمد حساني، كتاب دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، 2009، ص 52-53-54.

خامسا: التقليد والمحاكاة

هو عامل مهم في عملية اكتساب اللغة، فأولا من خلال تقليد الأطفال للأبوين أولا أثناء تكوين حروف لغتهم الأولى وثانيا عن طريق تقليدهم للأطفال والأشخاص الآخرين المحيطين بهم وهكذا لأن الطفل يجد الذين قبله يمتلكون خبرة في تسمية الموجودات والأشياء، ويجدهم أيضا يتحدّثون بلغة سليمة وصحيحة التركيب.

ومن خلال مخالطته لهم يتعلم الأصوات والعبارات والتراكيب ويتأثر بها ويقوم بتقليدها ومحاكاتها ويقوم بتكرار كلام الراشدين كثيرا وكذلك يهتمون بتقليد الأشكال اللغوية التي تعجبه ومناسبة له وهكذا يعزّز اكتساب اللغة.[1]

والمحاكاة أنواع عديدة: تلقائي، إرادي بفهم ودون فهم ونجد من الكلام العاجل، الآجل والواضح والغير واضح ونطق الكلمات الأولى طبقا لذكاء الطفل والسن والجنس وكذلك الفرص المتاحة ووجود أطفال آخرين يأخذ الطفل منهم الكلام سواء فهمه أولا ويبدأ بمحاكاتهم كما يأخذ منهم إيماءاتهم وتعبير وجوههم وهذه الإيماءات والحركات المعبّرة تعدّ وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي، حتى أنّه في القديم اعتبروا أن التواصل عند الإنسان كان عبارة عن إشارات اليدين وتطورت اللغة واشتملت مساحة كبيرة في حين أصبح للإشارات مساحة ضيقة.[2]

1 ينظر، نبيل عبد الهادي وآخرون، كتاب تطور اللغة عند الأطفال، ص 96 – 97.

2 ينظر، علي القاسمي، كتاب الممارسات اللغوية الطفل واكتساب اللغة بين النظرية والتطبيق، العدد 04، 2011، ص 233.

سادسا: الشخصية

إن من مقوّمات الإشباع المتوازن والمتوافق للطاقات الذاتية هي الشخصية كالاستقلالية التي تخلّص الفرد من الخجل والشك، كما تساعده الاستقلالية من تقبل مبادراته التي تصنع له أسس القدرة على ممارسة إرادته وبناء كيانه والوعي على ذلك، وكل هذا يعطيه الثقة التي تعطيه الوفاق مع الذات، فالشخصية المعافاة تجدها تعيش في حالة الانسجام والوفاق مع الذات والكون خلال المسيرة النمائية الإنجازية والإيجابية عبر المراحل العمرية حيث تساهم في النمو المعرفي والبناء وتحقيق الذات.[1]

سابعاً: الرغبة

ترتبط الرغبة بالذات والذات قد تتصل بالنقص أو الرغبة فمعنى أن نرغب في شيء ما هو أن نفقده وننزع إلى كسبه ويتعلق الأمر بحضور الموضوع المراد الرغبة في الوصول له وحُبّه وحضور الموضوع شرط أساسي، وهذا ما يدعو لتحفيز الإنسان للوصول لما يُريد كالتعلم.[2]

كانت هذه أهم العوامل الأساسية في عملية الاكتساب كما أنه وبتطور الزمن ومرور العصور يمكننا أن نعطي الأهمية لبعض المستويات مثل: المستوى الثقافي والاجتماعي، وكذلك الوسائل المتطورة كوسائل الإعلام المدارس، والمناهج الدراسية وتدخل فيها أيضا أساليب التدريس، والألعاب اللغوية، فالمستوى الثقافي يتمثل في ثقافة الوالدين ومستوى الوعي لديهم وطرقهم في معالجة وتربية الطفل

1 ينظر الصحة النفسية منظور ديناميكي تكاملي النمو في البيت والمدرسة، ص 44- 45.

2 ينظر محمد آيت حنّا، الرغبة والفلسفة مدخل إلى قراءة دلوز وغوتاري، ط 02، 2022، الكويت، الشويخ الصناعية، ص 25- 26.

وتنشأته بخبرتهم وأساليبهم المناسبة له عبر الاهتمام والرعاية في توفير جوّ مناسب ومريح له بعيدا عن المشاكل والاضطراب، كما أن المستوى الاجتماعي يتمثل في توفير ظروف ملائمة للطفل وجو متلاحم مع توفير الاحتياجات الضرورية له التي تساعده في ذلك.

أما وسائل الإعلام فأصبحت لها تأثيرات على الإنسان في العصر الحديث وله مكانة تحمل في طياتها فرصا لأن يكون هذا التأثير على الإنسان تأثير إيجابي من أجل ترقية لسان الإنسان وفصاحته وخاصه إذا أُحْسِنَ استغلال وتوظيف هذه الوسائل الإعلامية في تقديم ما هو مفيد والحرصُ على سلامة اللغة نطقا وكتابة من خلال المذياع والتلفاز والصحافة والمسرح، خاصة وأن هذه الوسائل تكون مسموعة ومرئية، وبهذا تساهم في عملية تعليم اللغة بالإضافة إلى المحافظة عليها.

أما المدرسة فهي بيئة تعليم اللغة لغة فصيحة وسليمة عبر المراحل التعليمية السنية التي يعيشونها وما يقدّم للتلميذ من طرف الأستاذ عن طريق التلقين والحفظ وإلقاء الدروس والقراءة والنطق الصحيح أما إذا حدث العكس إذا أهمل الأستاذ والمدرسة واجبهما نحو الطلاب تصبح بيئة طاردة غير جاذبة للتلاميذ فيعيق اكتساب المهارات.[1]

وتعتبر مراحل التعليم المختلفة بمناهجها المتنوعة مهمّة جدا في تنوع خبرات الطفل والمساهمة في اكتساباته المعرفية تلمس واقعه وظروف حياته وحاجياته كحب القراءة وإذكاء روح المنافسة والتحدي فهناك نماذج توحي بصعوبة اللغة أو جمودها وعدم ملاءمتها لثقافة العصر، ولأن المناهج الدراسية لها

1 ينظر خالد الزواوي، اكتساب وتنمية اللغة، ص 73/56.

دراسات ميدانية دقيقة متفحصة تستقرئ وتتحس أذواق التلاميذ وميولهم واتجاهاتهم ومستوياتهم الثقافية.[1]

وأما فيما يخص طرائق التدريس وأساليبها المتبعة في المؤسسات التعليمية فتتمثل في الكتب الدراسية واستخدام أسلوب زيادة الحماس لتطوير تعلم اللغة وتشجّع على كسب المفردات والصيغ السليمة وإذا حدث العكس فإن ذلك يؤدي إلى إضعاف الحماس لتعلم اللغة وإضعاف القدرة على كسب المفردات.[2]

وبالنسبة للألعاب اللغوية فإنّها تعدّ من الوسائل التي تكفل للفرد التزود من الحصيلة اللغوية، وتعرض هذه الوسائل النهوض باللغة وتعطي الأطفال إنعاش حصيلتهم اللغوية وتنشيطها وزيادة حيويتها في التعبير خاصة وأنها مستعملة في حياتهم اليومية وتتمثل هذه الوسائل في:

- العلاقات اللفظية: وهي عبارة عن البحث عن مرادفات بين عدد من المفردات واختيار الصح منها.
- التدريب على الكلمة ومفردها، وجمعها...
- عملية الحفظ والوعي.
- إعطاء الكلمة المفردة أكثر من معنى مما يساعد على استدعاء الأفكار.[3]

1 ينظر خالد الزواوي، اكتساب وتنمية اللغة، ص 80.
2 المرجع السابق، ص 87.
3 المرجع السابق، ص 123/ 127.

أهمية اكتساب اللغة

تسعى كل المجتمعات باختلافها على تنشئة أبناءها وفق نظام لغوي معين، وكذلك البحث على الطريق الأمثل الذي يكتسبون به هذا النظام اللغوي وهذا الأهمية أن الاكتساب اللغوي يحدّد بدوره سلوكان للفرد أولهما السلوك اللغوي وثانيه السلوك الاجتماعي حيث أنه الوسيلة التي تصبغ الفرد بالصّبغة الاجتماعية، وكلما اِزداد الفرد توغّلا في عضويته في مجتمعه كلما اِزداد دور اللغة أهمية ليس في حياته الاجتماعية فحسب بل في سلوكه واحساسه وتفكيره، بل إنّ عضويته الفعالة في مجتمعه تعتمد اِعتمادا مباشرا في قدرته على الاتصال بأفراد مجتمعه، كما أن هذا الاتصال بهم هو دليل وعامل أساسي يوضح نمّوه وفردا من أفراد جماعته البشرية بلغتهم المعيّنة.كما أن الطفل يكتسب أولا لغته الأم لتصير عنده ملكة لسانية يؤدي بها وظائفه في الحياة حتى أنه تصبح له قدرة على استقبال لغة ثانية واستعداد لتعلّمها واكتسابها في ظل الحاجة التي تدفعه لذلك.[1]

إن المجتمع الإنساني عبارة عن نسق مكون من الدين والحضارة والعادات والتقاليد والنظم السياسية والاجتماعية الأخرى، واللغة هي الوسيلة لتيسير التبادل المادي والفكري في المجتمع، ولأن المجتمع من أخص صفاته أنه لا يثبت على حال، فكذلك اللغة التي تسايره لا تثبت على حال هي الآخر.[2]

– تمكن اللغة الفرد من تذوق الفنون.

1 ينظر حلمى خليل، كتاب دراسات في اللسانيات التطبيقية، علم اللغة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2003، ص 86.

2 المرجع السابق، ص 211.

- ترقية فوق الأطفال وأحاسيسهم ووجدانهم، والتدريب على سر الجمال في الكلمة.
- التعرف على بعض القيم والاتجاهات والمواهب.
- التعرف على بعض أنماط السلوك، والتركيز على ما يرتبط بها وعلى القيم.
- تدريب الأطفال على سر الجمال في الكلمة، وإثراء اللغة عند الطفل.
- الرسم والتلوين والتجميل والتصوير بقدر ما يحبط الإنسان من ألوان التجميل الطبيعي في الكلمة.
- تنشئة التهذيب، والإحساس بالكرامة.
- الارتقاء بالشخصية، والشعور بالثقة.
- تقوية الملكات في التخيل، وزيادة القاموس اللغوي في الألفاظ والأساليب والمعاني.
- التعرف على بعض المشاعر الداخلية، والتركيز على الجوانب التي تحدث تأثيرا انفعاليا عند الأطفال.
- تستخدم اللغة في كيفية استخدام كلمة معينة.[1]

1 ينظر خالد الزواوي، كتاب اكتساب وتنمية اللغة، ص 24-25.

الفصل الأول: نظرات القدماء في الاكتساب اللغوي

تمهيد

جاءت اللغة العربية في دراسات الكتاب واعتبروها أنها اللغة القديمة الحقيقية، التي تعود إلى ما قبل التاريخ، ورويت عبر العصور، وأنها جُمعت من أشعار العرب وأهل الجاهلية، وكلام الفصحاء والحكماء منهم، كلام الكهان وأهل الرجز والسجع، وغير ذلك من أنواع بلاغتهم وصنوف فصاحتهم، ونزلت اللهجات حسب قيمة كل منهما منزلتين مختلفتين تماما، وتمثلان طاقتين لغويتين مختلفتين، العامية والفصحى.

ولقد حاول الكثير من المفكرين العرب قديما معرفة الطريق للوصول إلى لغة العرب وطرق اكتسابها، وهذا ما جعلهم يطرحون مجموعة من الطرق في صور متباينة، وكأنها هيكل جامع، قد يتغير فيه ما يتغير وهو يظهر في شكل منسجم يبحث عن كيفية الحصول على المعرفة، إن قدماء العرب الباحثين جعلوا اكتساب اللغة قد يكون نقلا أو وضعًا أو عن طريق العقل، وهذا ما أسفر عن مجموعة قيمة من الدراسات تضاربت فيها آراءهم وهذا ما سنتناوله في هذا الفصل.

المبحث الأول: الاكتساب اللغوي عند ابن جنّي

تعريف ابن جني للغة

اِهتم العالم النحوي باللغة وأسهم في دراستها وعالج الكثير من الموضوعات حول العلوم اللسانية وفقه اللغة من حيث النحو والصرف، والبلاغة والنقد، وقد ثبتت جهوده حول نشأة اللغة من القِدم.

وصف ابن جني اللغة قائلا "فإنها أصوات، يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، هذا حدّها، وأمّا اختلافها، فسنذكره في باب القولِ عليها أمواضعة هي أم إلهام"[1]

هي من لَغَوت، أي تكلّمت، وأصلها لغة، وفيها لُغَات ولُغُون ومنها لَغِيَ يلغى إذا هذى، وكذلك اللغو، قال تعالى "إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا" أي بالباطل وفي حديث "من قال في الجمعة صَهْ فقد لغا" أي تكلّم، وكذلك اللّغو، وفي النحو ذهب على أن اللغة هي انتحاء سمة كلام العرب، وكلّ ما يتعلق بها في التصرف من إعراب وغيره كالتثنية والجمع، والتحقير والتّكسير والإضافة، والنّسب، والتركيب، وغير ذلك.

أصل اللغة عند ابن جني

وعلى أصل اللغة رأي ابن جني على إن كان وضعها إلهام أم اصلاح ذهب أغلب ظنّه على أنها تواضع واصطلاح لا هي وحي ولا هي توقيف راجعا لرأي أبا علي رحمه الله مستدلّين بقول الله تعالى

1 ينظر ابن جنّي، كتاب الخصائص تأليف أبو الفتح عثمان بن جني، ج 1، مطبعة الهلال بالعجالة، مصر، 1331 هـ – 1913 م، ص 31.

"وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا" حيث أن الله سبحانه وتعالى علّم آدم أسماء جميع المخلوقات، بجميع اللغات العربية والفارسية، والسريانية، والعبرانية، والرومية، وغير ذلك من سائر اللغات، وهكذا انتشرت اللغة بانتشار أبناء آدم في الأرض وابتعدوا بتفرّقهم في الدنيا، واختص كل واحد منهم بلغة وما بعدوا عنها اضمحلّت وعَلِقُوا بها غَلَبَتْ.[1]

فأصل اللغة لا بد فيه من المواضعة وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات فيضعوا لكل واحد سِمة ولفظ، إذا ذكر عرف به ما سمّاه ليمتاز عن غيره حيث حيثما سُمعت اللفظة عُرف معناها وهناك من أكّد على أن أصل اللغات كلها على اختلافها فإنما هي من المسموعات.

فلم ينكر ابن جني مواضع اللغة كما لم ينف أن اللغة معجزة الله تعالى في قوله "كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا وإن بَعُد مداه عنّا، من كان ألطف منّا أذهانا وأسرع خواطر وأجرأ جنانا، فأقف بين الخُلّتين حسيرا وأكاثرهما فأنكفئ مكثور، وإن خطر خاطر فيها بعد، يعلّق الكف بإحدى الجهتين، ويكفها عن صاحبتها قلنا به".[2]

مشكلات اللغة عند ابن جني

بحث ابن جني في مشكلات اللغة الكليّة من حيث النحو والصرف مثل ما تحدث عنه ابن الانباري "وأمّا أبو الفتح عثمان بن جنّي النحوي فإنه كان من حذّاق أهل الأدب وأعلمهم بعلم

1 ينظر ابن جنّي، كتاب الخصائص تأليف أبي الفتح عثمان بن جني، ص 39.
2 المرجع السابق، ص 46.

النحو والتصريف، صنف في النحو والتصريف كتبا أبدع فيها، كالخصائص، والمصنف وسر الصناعة... ولم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف"، حيث أن ابن جني يبحث في المشكلة في حدّ ذاتها ويتخذها منطلقا للدراسة ومثال ذلك بحثه في الفرق بين القول والكلام، وأن ما ينطق به اللسان يُسمّى قولا وما ينطقه اللسان أحياناً أو يكتبه يسمّى كلاما.[1]

ويخلص ابن جني إلى أن الكلام هو اللفظ المستقل بنفسه المفيد بمعناه وهو الجمل عند النحويين أما القول "فأصله أنه كل لفظ مدل به اللسان تاما كان أو ناقصا" ولهذا القرآن الكريم يُقال عنه كلام الله وليس قول الله.

وابن جني يرى أن عالم اللغة ينبغي له مناقشة المشكلات اللغوية الجوهرية حتى يصل إلى حد الوضوح والاقناع، وأن على العالم اللغوي أن ينعم الفكر في المشكلة ويكاس في الإجابة عنها، أسلوب ابن جني في كتابه الخصائص أسلوبه منطقي في الجدل وصاحب ثقة في الرواية والحِفظ شامخا بين كتب اللغة العربية، وقد تكون مبالغة إذا قيل أنّه يضارع ما يظهر اليوم في الغرب من أبحاث لغوية حادة وعميقة، خاصة وإذا وضعت دراساته جنبا إلى جنب مع نظائرها من الأبحاث الحديثة التي يدّعي أصحابها أنها جديدة كل الجدّة.[2]

1 ينظر عز الدين إسماعيل، كتاب المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، مكتبة غريب للطباعة والنشر، رحمك، 2000، ص 342.

2 المرجع السابق، ص 344.

المبحث الثاني: الاكتساب اللغوي عند ابن رشد

عوامل الاكتساب عند ابن رشد

كانت أغلب آراء علماء اللغة العرب قديما حول اللغة واكتسابها تؤكد على أن عامل التكرار والحفظ والنقل لمختلف الخطب والاشعار والروايات وكذا الممارسة والاعتياد وعامل البيئة والمحيط هم الأساس في نمو اللغة وترسيخها، في حين أنّ هناك علماء يعترفون بالمنطق والفكر البشري ويعطوه الأحقية في عملية الكسب في إطار ما يسمى بالوعي والادراك والتفكير.

ومن بين هؤلاء المفكرين نجد ابن رشد[1] الذي كان له جهد كبير في دراسة النمو اللغوي ووسائله.

لعلّ أجلى طريقة من طرائق نمو اللغة هو القياس.

القياس: بنى عليه القدماء كل ما استنبطوه من قواعد اللغة وصيغها ودلالات بعض ألفاظها فهو الميزان المصحّح بين الصّحيح والزّائف فهو استنباط مجهول من معلوم، حيث أنه مقارنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال، رغبة في تحقيق التوسع.[2]

أمّا بالنسبة لنظرة المحدثين فإن نقاط الاختلاف تتمحور حول معنى السليقة اللغوية وكيفية بناء القواعد للغة من اللغات بالإضافة إلى دور القياس في كل اللغات.

1 ابن رشد: هو أبو الوليد بن أحمد بن رشد (1126 م- 1198 م) ولد بقرطبة، فيلسوف وطبيب وعالم فقيه وقاضي.
2 ينظر إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط 3، 1966، مكتبة الانجلو المصرية، شارع محمد فريد، القاهرة، ص 09.

السليقة اللغوية

من خلالها يمرّ الطفل بمرحلة يتعلم فيها لغة والديه ويتطلب هذا منه جهدا كبيرا ومدة زمنية طويلة، بعدها يمكنه الكلام بسهولة دون تكلّف أو عناء دون أن يفكر في طرائق وأساليب شائعة في بيئته للكلام بل يتكلم بطريقة آلية دون شعور دون انحراف أو خطأ، فيربط بين الكلمات والعبارات ويركّب تلك الأصوات بلغة أبويه حتى لوفي جهل حتى تقم مراحل نمو اللغة عنده فيسيطر سيطرة كاملة ويُرسل القول على سجيّته دون تفكير وهذا حسب ما تلقاه من عائلته.[1]

ابن رشد يرى أن اللغة بدايةً موضوعة إذ أنّ الألفاظ الكلمات الملفوظة سواء كانت اسما وكلمة هي تتعلق بالمعنى والدّلالة التي وُجدت لأجلها، كما أنَّ الحروف أوّلا عند كتابتها إنّما أولا تدل على الحروف، وهذه الرؤية إنما نجدها عند جميع الأمم في لغاتهم كانت دلالة بتواطؤ وليس بالطّبع.[2]

وتعدّ الكلمة الفعل وتدل على زمان ما وهي الازمات الثلاثة المحددة: الماضي، الحاضر أو المستقبل، وهي تدل على المعنى المحمول، وعلى ارتباط المحصول بالموضوع، فإذا كانت خبرا بنفسها مثل قولك: زيد يصحّ، وإمّا أن تكون تدل على ارتباط المحمول بالموضوع إذا كان المحمول اسما من الأسماء مثل قولك: زيد يوجد ديوانا.[3]

1 ينظر إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص 19.

2 ينظر أبو الوليد بن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة، تحقيق الدكتور محمد سليم سالم، مطبعة دار الكتب، 1978، جمهورية مصر العربية، ص 12.

3 المرجع نفسه، ص 28.

الظاهرة اللغوية عند ابن رشد

اهتم ابن رشد بالظاهرة اللغوية حسب منطقه وفكره الفلسفي وقد قام بتلخيص كتاب أرسطو في صناعة المنطق وهو كتاب المقولات وهو يهتم بالنص المنثور وتقسيماته ووقته وقيما وُضِعت له.[1]

ابن رشد من خلال فلسفته اللغوية اعطى اللغة صفة الوضع وأشركه بجميع اللغات، وسمّى الملكة أنّها ما بقي وطال زمنه عكس الحال الذي يتغيّر، ووشيك الزّوال، وأنّ الصناعة هي صناعة الفضائل والعلوم وهي العلم بالشيء، وبه تحصل الصناعة أما الحال مثل: الصحة، المرض، والحرارة والبرودة وهذه كلها أحوال غير ثابتة يمكنها الزّوال فلاهي باقية ولا هي معمّرة ولو كانت كذلك لسمّاها الإنسان ملكات.[2]

أهمية النحو عند ابن رشد

اهتم ابن رشد باللغة من جانبها الأهم وهو النحو الباب الرئيسي لها وألّف العديد من الكتب فيه، "البحث عن المنطق قد يرمي بك إلى جانب النحو، والبحث عن النحو يرمي بك إلى جانب المنطق، ولولا أنّ الكمال غير مستطاع لكان يجب أن يكون المنطقي نحويًّا، والنّحوي منطقيا"[3] على قول أبو حيّان التوحيدي.

---

1 ينظر ابن رشد، كتاب المقولات، حققه المرحوم الدكتور محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 1980، -جزء 2، الفصل 4، العلم والملكة، ص 25- 26.

2 المرجع السابق، ص 105.

3 ينظر أبو الوليد بن رشد، الضروري في النحو، تحقيق الدكتور على عبد الله وآخر، ط 1، 2010، الصحوة للنشر والتوزيع، مصر، ص 11.

اعتبر ابن رشد الأخذ بالعلوم صناعة كما قلنا سالفا، وحتى النحو عنده صناعة لفلسفته وفكره المنطقي و بالنحو تتم محاربة اللحن الذي تفشى على الألسنة إلى أن امتدّ إلى القرآن هذا أوّلا وثانيا تعليم العربية لغير الناطقين بها ممن دخل في الاسلام، ليستطيعوا إقامة شعائر الدّين بداية من أبي الأسود الدؤلي، إلى غاية يومنا هذا، وأعطى أهمية النحو على أنه به يُراد العطاء "الكلّيات والقوانين بأسبابها التي يقدر بها الإنسان أن ينطق بأشكال الألفاظ التي جرت عادة أهل ذلك اللسان أن ينطقوا بها"،[1] فالنحو ترتكز منفعته في فهم كتاب الله وسنة رسوله الكريم، وفهم جميع العلوم، حيث يمكّن الإنسان من النطق بأشكال الألفاظ على عادة أهل ذلك اللسان (العرب) وعمل الخطب والأشعار وفهم اللغة وبيان مستوياتها، ورأى أنّه يجب تيسير النحو ليكون للمتعلم السهولة في الأخذ للمعرفة مدام يكون كل ملفوظ يُعرض للصّحة سواء من خلال دلالة المعاني، أو صحّة اللفظة، وأعطى للإعراب جانبه المهم والتركيب.[2]

فالنحو عند ابن رشد هو وسيلة لفهم الكلام وفهم العلوم وعمل الخطب والأشعار، فسمة تمازج نحو الألفاظ بنحو المعاني أو صلة ارتباطهما لا غِنَى عنها، وهذا ما يسمى بالتداخل والتلاحم حيث على السّامع الظّفر بالمعنى من خلال الكلام الملفوظ، وهذا ما سمّاه دي سوسير التلاحم بين الدال والمدلول.[3]

1 أبو الوليد بن رشد، الضروري في النحو، ص 21.
2 المرجع نفسه، ص 25- 26.
3 المرجع نفسه، ص 32.

عوامل الاكتساب عند ابن رشد

وهكذا اعتبر ابن رشد اللغة تأتي من التعليم المستعمل في استعمال المقاييس التي تعطي أسباب الأمور الكلية الموضوعة فيها، وهي التي صحّ وجودها بالنقل عن العرب وباستقراء كلامهم وتحدث الصّناعة عن طريق السّمع والاستقراء فالقياس يُستعمل لِما جُهل سماعه، حيث يقيسون المجهول على المعلوم، ثم يأتي الترتيب، فيكون الابتداء بالألفاظ أولا المفردة، ثم المركبة ثم اللواحق، ثم الاعراب.[1]

المبحث الثالث: الاكتساب اللغوي عند ابن خلدون

لقد كان لابن خلدون أصالة تفكير لغوي وآراء جديدة حول اللغة في الفكر العربي، آراء متطوّرة متعمّقة في مجال علم الألسنية، من خلال الجانب الاجتماعي والسياسي.[2]

اللغة عند ابن خلدون

تعريف ابن خلدون للغة

اِعتبر ابن خلدون أنّ اللغة هي الملكة اللسانية.

1 أبو الوليد بن رشد، الضروري في النحو، ص 101.

2 ابن خلدون: هو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الخضرمي المكنّى بأبي زيد ولد بتونس (732- 808 ه) (1332- 140- م) عالم موسوعي متعدّد المعارف والعلوم عالم بالفقه والمؤسس الأول لعلم الاجتماع وعالم بالتاريخ.

وعرّف اللغة بقوله: "اِعلم أنّ اللغة، في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلم عن مقصده وتلك العبارة فِعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمّة بحسب اصطلاحاتها"[1]

ومن هنا تعرف أن أي إنسان يُريد أن يُوصل مقاصده عليه استعمال طريقة ما وهنا الطريقة هي اللغة، فهي وسيلة تعبير مميّزة يتّصف بها الإنسان كقدرة غير موجودة عند الحيوان وهي الوسيلة جدّ فعّالة حيث أنّها تحقّق التواصل والاتّصال بين الأفراد كما أنّها تُتيحُ للمتكلم شرح أحاسيسه ومشاعره وإيصالها للآخرين بطريقة قَصْدِية وعلى المتلقي فهم ما يريده المتكلّم من ذلك القول عن طريق اللسان وهنا وُجِدت اللغة للإدانة والشّرح، وهكذا تكمن أهميّتها وهي الانتفاع بها.[2]

عوامل اكتساب اللغة عند ابن خلدون

بدون اللغة لا يمكن للأفكار الظهور لأن المتكلم من خلال كلامه الملفوظ يريد تبليغ مقاصده للسّامع المتلقّي لهذا الكلام وهذه العملية تسمّى عملية تواصلية بين المتكلّم والسّامع يُراد بها تحقيق المفِيد من الدّلالات والمعاني.

وبِاختلاف اللغة تختلف الاصطلاحات بين أمّة وأخرى حيث أنّ لكل لغة بيئة معينة، تجتمع على اصطلاح معين أو عادة جماعيّة واحدة، وعلى الدِّلالة أنْ تُطابِق المصطلح الذي وضعته الملكة

1 ينظر ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون (دراسة ألسنية) ط 1، 1406 هـ- 1986 م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الحمراء، لبنان، ص 05.

2 المرجع نفسه، ص 11.

اللسانية، الدلالة المقصودة ومقتضى الحال لتحقيق البلاغة حسب النُّحاة في قولهم،[1] يقول ابن خلدون "فاللغات إنّما هي تُرجمان عمّا في الضمائر من تلك المعاني، يؤّديها البعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة والتّعليم وممارسة البحث بالعلم لتحصيل ملكتها بطول المِران على ذلك".[2]

وقد أكّد أن مباحث العلوم، هي في المعاني الذهنية، والخيالية وأعطى دور التحصيل بالبحث وربط المعاني بألفاظها لمعرفة دلالاتها اللغوية، سواء بالخِطاب أو المشافهة، أو الرسوم الخطّية من الدواوين بمسائل العلوم، فالألفاظ وُجِدت ورُبطت معانيها في الذهن وترسّخت فيه بواسطة الاستعمال والنّقل ويكون التعليم تلقينا بالعبارة أيضا وبالخطاب مُدعّما للفهم والتعلّم يحتاج المعلم إلى التقييد بالكتابة والمشافهة.[3]

وهذا هو شأن المعاني مع الألفاظ والخط بالنسبة إلى كل لغة، وهذه هي الدلالة اللفظية والخطية.

إنّ المِلّة الاسلامية قديما اِتّسعت واندرجت في الأمم، فدرست علوم الأوّلين بنبوّتها وكِتابها، فسخرت منهم الأمم كونهم يتّصفون بالحضارة والتهذيب، لكنّهم وبعد أن كانت علومهم الشرعية نقلا صيّروها فحدثت فيهم الملكات وصارت علومهم صناعة فكثرت الدواوين والتآليف وترجموا علوم الأمم وترجموها وأفرغوها في قوالبهم اللغوية وجرّدوها من تلك الأعجمية التي فيها، وأحجت كل العلوم بلغة

1 ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون (دراسة ألسنية)، ص 12.

2 مراجعة سهيل زكّار، المقدمة، ج 1، من تاريخ ابن خلدون المسمّى –ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1421 هـ/ 2001 م، ص 750.

3 المرجع نفسه، ص 750.

العرب مدوّنة بخطهم، واحتاجوا آنذاك إلى معرفة الدّلالات اللفظية والخطية بلسانهم، وهذا ما أوصلهم إلى الملكة اللسانية وإزالة العجمة.[1]

فكما قلنا سابقا على أن الملكة اللسانية بوصولها لمختلف العلوم، فعي علم اللسان هناك أربعة أركان أساسية ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة إذ أنّ مأخذ الأحكام الشّرعية كلّها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ألا وهي: اللغة، النحو، البيان والأدب، نُقلت عن طريق الرواية والمشافهة من الصّحابة والتابعين، ومن أراد هذه الشريعة عليه معرفة أحكام هذا اللسان، لفهم المقاصد والدلالات وهذا ما يسمّى بالنحو، ومن خلاله يُعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، فعلم النحو عند ابن خلدون هو المقصد هذا لأن اللغة عُرفت بأنّها عبارة المتكلّم عن مقصده، وهي فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام حدثت بفعل والفاعل هو اللسان وُضِعت حسب اصطلاحات كل أمّة ولها الكثير من المعاني والدلالات تتغير بتغير حركات الإعراب...[2]

النحو عند ابن خلدون

ارتبطت إذن الملكة اللسانية بالنحو، واهتم ابن خلدون بالظواهر القواعدية العائدة لها وهذا من خلال تلك القواعد إلى تغير دلالات الجمل والكلمات وهذه هي الظاهرة هي الاعراب واستقراء مواقع الرفع والنصب وعوامل تغيّر الحركات في أواخر الكلمات، وبدون علم النحو لا يمكن وصف الملكة اللسانية وتفسير كيفيتها وقضاياها وصيانتها والمحافظة عليها وإنّ أول من كتب في هذه القواعد

1 مراجعة سهيل زكّار، المقدمة، ص 751.
2 المرجع السابق، ص 753.

هو أبو الأسود الدؤلي فزع إلى حفظ الملكة اللسانية بالمسارعة بحفظها بضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة.[1]

وقد أشار ابن خلدون أنّ السمع هو العامل المهم في نقل اللغة وترسيخها وتكوين هذه الملكة اللسانية "فهو أبو الملكات اللسانية والعرب استنبطوا من مجاري الكلام قواعد وقوانين، فالفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع، ورأوا تغيّر الدلالة بتغير الحركات فقيّدوا كل شيئ داخل كتب وأسموها علم النحو، كان أوّلهم أبو الاسود الدؤلي من بني كنانة، ثم كتب الناس وراءه حتى انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي..." ثم سبويه ثم أبو علي الفاسي، ثم إنّ الاختلاف في إعراب كثير من آيات القرآن جاء حفاظا على الملكة اللغوية، بعدها جاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار، كما فعل ابن مالك في كتاب التسهيل والزّمخشري في المفصّل، وابن الحاجب في المقدمة له، وهذه كلها جهود دراسية رمت إلى الحفاظ على الملكة اللسانية من الفساد هي والصّناعة اللغوية العظيمة.[2]

أما الركن الثاني علم اللغة بعد علم النحو فيعتبر بيان الموضوعات اللغوية واجتنابا لخلط اللغة العربية ووضعها في استعمالات غير استعمالاتها بملاسنتهم للعجم، اِحتاج العرب لحفظها فدوّنت في الكتب ودُوِّنَتْ على أيدي أئمة اللّسان في دواوين، وكان أوّلهم الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين، حصر فيه مركّبات حروف المعجم، وتحدّث عن التقديم والتأخير فيها، وعن جملة الكلمات الثنائية وترتيب المخارج ابتداءً من حروف الحلق إلى الشفّة، ثم جاء بعده أبو بكر الزبيدي، وكتب

1 ينظر ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون (دراسة ألسنية)، ص 46.
2 سهيل زكار، المقدمة لابن خلدون، ص 754.

لهشام المؤيد بالأندلس في المائة الرابعة، فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل كلّه وكثيرا من الشواهد ولخّصه للحفظ وألّف أيضا الجوهري من المشارقة كتاب الصّحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم.[1]

وهناك من الكتب الموضوعة أيضا كتاب الزّمخشري في المجاز سمّاه أساس البلاغة بيّن فيه كلّ ما تجوّزت به العرب من الألفاظ فيما تجوّزت به من المدلولات، ونحا نحوه الثعالبي في تأليف كتاب فقه اللغة وكذلك كتاب الألفاظ لابن السّكيت والفصيح لثعلب وغيرها...[2]

عوامل الاكتساب عند ابن خلدون

إنّ النّقل في كلام ابن خلدون هو أساس اللغة في قوله "واعلم أنّ النقل الذي تثبت به اللغة، إنما هو لنقل عن العرب أنّهم اِستعملوا هذه الألفاظ لهذه المعاني لا تقل إنّهم استعملوا هذه الألفاظ لهذه المعاني، لا تقل إنّهم وضعوها لأنّه متعذّر وبعيد، ولم يعرف لأحد منهم، وكذلك لا تثبت اللغات بقياس ما لم نعلم استعماله على ما عرف استعماله في ماء العِنب، باعتبار الإسكار الجامع، لأن شهادة الاعتبار في باب القياس إنّما يدركها الشرع الدال على صحة القياس من أصله، فليس لنا مثله في اللغة إلا بالعقل وهو محكم وعلى هذا جمهور الأئمة، وإنْ مال إلى القياس فيها القاضي وابن سُريح وغيرهم، لكن القول بنفسه أرجح، ولا تتوهمن أن إثبات اللغة في الحدود اللفظية الان الحدّ راجع إلى

1 سهيل زكار، المقدمة لابن خلدون، ص 756 – 757.
2 المرجع السابق، ص 758.

المعاني ببيان مدلول اللفظ المجهول الخفي هو المدلول الواضح المشهور، واللغة إثبات أنّ اللفظ كذا لمعنى كذا والفرق في غاية الظهور".[1]

أما علم البيان عند ابن خلدون فهو العلم اللساني الثالث المتعلق بالألفاظ وافادتها ودلالة معانيها للمتلقي وهي صناعة النحو، فالمقال حسب المقام كالتقديم، والتأخير والإحالة والانشاء، وأنواع الجمل، العطف، التنكير، الإيجاز والإطناب، والبيان يدرس الدّلالات من حيث الأحوال والهيئات والمقامات التي تتطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال، وسمّي علم البلاغة، وهو تزيين مسائل الفن واحدة بعد الأخرى وهناك الكثير من المؤلفات حوله عند أهل المشرق في الشرح مثل كتاب التبيان، والمصباح لابن مالك، والايضاح والتلخيص للقزويني وكذلك كتب جعفر بن يحي والجاحظ وقدامه.[2]

وفيما يخص علم الأدب: فهو الإجادة في المنثور والمنظوم من كلام العرب، وأساليبهم ومناحي بلاغتهم فلا تحصل الملكة فيه إلا بحفظ كلامهم وأساليبهم ومناحيهم فمسائل اللغة والنحو آنذاك كانت مبثوثة متفرّقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها.

إنّ ابن خلدون يرى أن الحفظ والتصفّح هما أساس حصول الملكة، وأكّد من خلال مؤلفه المقدمة على أن لا مدخل لعلوم اللسان، أو العلوم الشرعية إلّا بحفظ أشعار العرب وأخبارهم ومتون

1 سهيل زكار، المقدمة لابن خلدون، ص 759.
2 المرجع نفسه، ص 759.

القرآن الكريم صناعة فن البديع والاصطلاحات العلمية أصّلت هذا الفن وهي: أدب الكتّاب لابن قتيبة – والكامل للمبرّد والبيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي.[1]

وتحدّث ابن خلدون من الغِناء كمصدر أول للفنّ وكذلك تلحينه وألّف فيه القاضي أبو الفرج الأصفهاني كتابه الأغاني.

نجد أن ابن خلدون وصف اللغة أنها الملكة الصناعية في اللسان للتعبير عن المعاني وجودتها، وحسب تمام الملكة أو نقصانها تتم اللغة وتُفهم المعاني وهذا من خلال حسن تركيب الألفاظ، فالمتكلّم إذا أراد الإفادة وحصول المطلوب عليه بالكلام حسب مقتضي الحال وإفادة السّامع، وهذا هو البلاغة، ولن يحدث للمتكلّم تمام الملكة إلّا بتكرار الأفعال التي عبّر عنها سابقا وهكذا حتى يتم الرّسوخ.[2]

جُمعت اللغة من العرب فكل فرد كان يسمع كلام جيله وأسلوب خطاباتهم آنذاك وكيفية تعبيرهم كلما تجدّدت المواقف والأحداث فيجمعها ويرسّخها في عقله وهكذا تصبر الألسن واللغات تتنقل وتتوارث من جيل إلى جيل.[3]

1 سهيل زكار، المقدمة لابن خلدون، 763.
2 المرجع السابق، ص 764.
3 المرجع نفسه، ص 765.

وهكذا تصّيرت الألسن واللّغات وتعلّمها العجَم والأطفال وفسدت الملكة اللسانية الأولى المأخوذة من المضر وذلك لمخالطتهم العجم، وهذا هو معنى فساد اللسان العربي، وأصبحت لغة قريش أفصَح اللغات العربية لبعدهم عن جميع جهات العجم.[1]

ومن خلال هذه الملكة استعمل العرب التدوين والكتابة، وأصبحت صناعة العربية هي معرفة هذه اللغة ومعرفة قوانينها والعلم بقوانين الأركان الأربع التي ذكرها ابن خلدون في مقدّمته.

وبهذا نستخلص أن النقل، السمع، التكرار، والحفظ وتنويع الموروث اللغوي شِعرا ونثرا واستعمال اللحن والتنغيم ومقام المقال والدراسة والتعليم هم طرق اكتساب اللغة وكسب المهارة فيها عند ابن خلدون كما أنه لم يُهمل عامل الرواية أولا، وبالتدوين والكتابة الصحيحة المِمَحَّصَّة حافظ العرب وعلماؤهم عليها ومن أراد اكتساب اللغة العربية عليه معرفة بلاغتها يفقه أركانها أي علوم اللسان الأربع.

المبحث الرابع: الاكتساب اللغوي قديما عند أبو نصر الفارابي

إن الجسر الأساسي للحفاظ على الهوية هي التمسك باللغة فاللغة كانت لغة الأقدمين ولغة الحاضرين وجعل الله سبحانه وتعالى لكل مجتمع لغة ولكل واحد فيهم لسان لقد اختار تعالى اللغة العربية لتكون لغة العرب والمسلمين وجعلها لغة القرآن في قوله تعالى "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا" ليفهمه أهل العرب وبعدهم الأمم العربية والإسلامية.

1 ميشال زكريا، الملكة اللّسانية في مقدمة ابن خلدون، ص 119 – 120.

إن اللغة هي ما يجتمع حولها الناطقون بها في كل زمان ومكان نطقا وكتابة، وقد وصف الله سبحانه وتعالى اللسان العربي بأبلغ وصف للكلام ألا وهو البيان فقال تعالى "الرَّحْمَٰنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الإنسان، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ" ومن هنا فاق اللسان العربي كل الألسنة وكان الإسلام صاحب فضل كبير في تفجير طاقات العرب التي كانت آنذاك بشبه الجزيرة العربية وهكذا اللغة باقية ما بقي القرآن الكريم.[1]

ولأهميّة اللغة واكتسابها سواء اللغة الأم أو الثانية المكتسبة بالتعلّم سنبدأ بعلمائها العرب القدامى ومن بعدهم الحديثون.

أولا: أبو نصر الفارابي[2]

يعدّ الفارابي من علماء علم الاجتماع، وهو العلم الجامع لثلاث أمور أساسية تتمثل في معنى المعرفة العلمية، ومكوّنات العلم، وكذا طبيعة النظرية العلمية وعلاقتها بغيرها من مكوّنات العلم كل هذا يتمحور حول كل المعاني والمعتقدات والأحكام والمفاهيم والتصوّرات الفكرية التي يكونها الإنسان عن أي جانب من جوانب الكون الذي يعيش فيه، وخصوصا أن مصدر المعرفة دائما هو الواقع سواء كان هذا الواقع فيزيقيا (جامدا) أو بيولوجيا أو اجتماعيا، ويعدّ الفارابي من الأوائل الذين أسّسوا لعلم

1 ينظر خالد محمد الزواوي، كتاب اكتساب وتنمية اللغة، ص 05.

2 الفارابي: هو أبو نصر إسمه محمد ولد بتركستان 260 هـ، هو فيلسوف وعالم طبّي، فيزيائي وطبّي، توفي (950 م- 339 هـ)

الاجتماع ومن خلال هذا اِهتم بمعرفة اللغة و بحث فيها وظاهرة معرفتها و نظرية علم الاجتماع المبنية على المعرفة خصّص جانب دراسة معرفة اللغة فيها.[1]

اللغة عند الفارابي

اهتم الفارابي باللغة وركّز على الحروف والألفاظ وبحث فيها هدفه الوصول إلى أصل اللغة ونشوئها وعلاقتها بالفلسفة والملّة، وفيما يخص مسألة وضع اللغة واتّبع نهج التّواضع والتواطؤ وتحدّث حديث راقي حول هذا الموضوع دون تكلّف وقال عن اللغة للإنسان ((وإذا احتاج (الإنسان) أن يُعرّف غيره ما في ضميره أو مقصوده بضميره، اِستعمل الإشارة أولا في الدّلالة على ما كان يُريد ممن يلتمس تفهيمه، بحيث يُبْصِرُ إشارته ثم اِستعمل بعدَ ذلك التصويت، وأوّل التصويتات النّداء فإنه بهذا يلتمس تفهيمه، أنه هو المقصود بالتفهيم لا سِواه، وذلك حينما تقتصر في الدلالة على ما في ضميره بالإشارة إلى المحسوسات ثم من بعد ذلك يستعمل تصويتات مختلفة، يدّل بواحدٍ واحدٍ منها على واحدٍ واحدٍ مما يدل عليه بالإشارة إليه وإلى محسوساته، فيجعل لكل مشار إليه محدودٍ تصويتاما محدودا، ولا يستعمل ذلك التصويت في غيره)) بمعنى ان السامع يستعمل كل تصويت أو لفظ معيّن بعدما سمعه وحفظه في نفس استعمال المعنى الذي دلّ عليه ما سمعه وحفِظه من لفظ أو تصويت

1 ينظر سمير نعيم أحمد، النظرية في علم الاجتماع، دراسة نقدية، جامعة عين الشمس، دار الهاني للطباعة والنشر، 2006، ص 19.

ويحتذي بها، دلاليا على المعنى الذي يُريده، وهكذا عبر المخاطبات والانتقال تنتقل الكلمات والألفاظ.[1]

فالفارابي كان في تقديره أنّ الإنسان قد اِستعمل الإشارة للدلالة على الأشياء قبل استعماله الأصوات، تعبيرا عمّا اِحتاج له أو ما في ضميره وكذلك القصد في استعمال الإشارة دلالة على ما كان يُريد، ثم بعد ذلك استعمل الصّوت.[2]

وقد اعتبر الفارابي الحروف أو الأصوات أن لها أسباب وهو قرع هواء النفس على أعضاء الجهاز النطقي ابتداءً من هواء الرئة وتجويف الحلق إلى طرف الحلق الذي يلي الفم والأنف وإلى ما بين الشفتين، ثم اللسان يتلقّى ذلك الهواء فيضغطه إلى جزء من أجزاء باطن الفم، وإلى جزء من أجزاء أصول الأسنان وإلى الأسنان، فيقرع به ذلك الجزء فيحدث من كلّ جزء يضغطه اللسان عليه ويقرعه به تصويت محدود وينقله اللسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاء أصل الفم فتحدث تصويتات متوالية كثيرة محدودة.[3]

وبهذا يكون الفارابي في دراسته للّغة لم يُهمل الجانب الصوتي منها، وحتى أنه وضع كتاب أسماه (أسباب حدوث الحروف) سيّما وأنه نصّ على أنّ ذلك القرع هو سبب حدوث الأصوات اللغوية، وراح فِكره على أن الحرف الواحد لا يمكنه التعبير عن المعاني التي يعبّر بها الإنسان، لذلك اضطرّ هذا

1 ينظر عدنان محمد سلمان، كتاب الفارابي وآراؤه اللغوية –في كتاب الحروف– كلية الآداب، جامعة بغداد، جزء 1، ط 1، ص 06.

2 المرجع السابق، ص 07.

3 المرجع السابق، ص 07.

الأخير إلى أن يركّب الحروف بعضها ببعض حيث محدوديتها في العدد لا تلبّي غرض الدّلالة على ما يكون في ضمائرهم، فعليهم تركيب بعضها البعض فتحصل ألفاظ من حرفين أو حروف، وتأليف المفردات، هكذا سار الناس على هذا النهج مهما اختلفت أجناسهم، أي أنّه قانون عام خاضع له منطق اللغات كلّها، وبعدها يأتي دور أمر الجَمَاعة ويضعون بالأحداث ما يحتاجون إليه من التصويتات (أي الألفاظ) للأمور التي لم يتفق لها عندهم تصويتات دالّة عليها... وهكذا منذ أوّل الزمن يُدبِّر أمرهم إلى أن توضع على الألفاظ كلّ ما يحتاجون إليه في حاجاتهم الضرورية.[1]

الفارابي في دراسة اللغة بيَّن أنّ المعاني المعقولة لدى العرب خطبية في بادئ الأمر، كلّها سواء ألفاظهم أو أقاويلهم.

فالخطبية هي السابقة أوّلا، وكانوا كلما حدثت حوادث تحوّجهم إلى إنشاء خطب، أو أجزاء من خُطب، وهكذا قليلا قليلا حتى يصلوا إلى صنائع قياسية صناعة الخِطابة، وبعدها تبدأ يَنشأ استعمال المعاني وخيالات مُفهمة لها أو بدلا منها، فتحدث المعاني الشعرية وهكذا قليلًا قليلا إلى أن يحدث الشّعر قليلا قليلا فتحصل لديهم أيضا صناعة قياسية هي صناعة الشعر، خاصة وأن الإنسان لديه فِطرة الترتيب والتنظيم في كل شيء، حيث أن الألفاظ لها أوزان تعتبر رتبة وحسن تأليف ونظام

1 ينظر عدنان محمد سلمان، كتاب الفارابي وآراؤه اللغوية في كتاب الحروف، ص 08.

بالإضافة إلى زمان النطق وهكذا على طول الزمن تحصل صناعة الشعر فتحصل بالأخير صناعتان قياسيتان.[1]

استعملت الخطب والأشعار في اقتصاص الأخبار عن الأمور السابقة والحاضرة الذين يحتاجون لها، فرووا الخُطب ورَوَوْا الأشعار وحفظوا الأخبار عن طريق السّمع ومحّصوا ممّا سِمعوا الصحيح منها بنظرهم إلى تركيب الألفاظ، ويجعلون لها مرادفات من الألفاظ المشهورة، ويتعلّمونها من بعضهم البعض. (143)

واهتموا أيضا بتسمية كل الأمور الداخلة تحت جنس أو نوع. وأما الأشياء التي لم تكن لها ضرورة لم يتّفقوا على أسماء لها وحتى الأشياء غير الضرورية. وهكذا تأمّلوا الألفاظ الغريبة والمألوفة وأصلحوا المختل منها، وينظرون إلى ما كان النطق به عسيرا في أوّل ما وُضع له فيُسهّلونه وما كان بَشِع المِسْمَعْ يجعلونه لذيذا.[2]

وأبقوا على أصناف التركيبات ذات المعاني المرتبة في النّفس واستعملوها عند الضرورة، كما استخدموها على الأحوال التي استعملها فيها السالفون قبلهم، وهكذا حتى كوّنوا الكلام الأفصح من الخطب والأشعار، واعتمدوا الحِفظ لتلك الخطب والأشعار وتداولها، ولايزالون يتداولون الحفظ إلى أن يكثر عليهم ما يلتمسون حِفظه ويعسّر فيحوجهم ذلك إلى الفكر فيما يسهّلونه به على أنفسهم فتستنبط الكتابة، وتكون في أوّل أمرها مختلطة إلى أن تصلح قليلا قليلا على طول الزمان ويحاكي بها

1 ينظر أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، حققه وقدّم وعلّق عليه محسن مهدي، دار الشرق، بيروت، لبنان، 1986، طبعة 1، ص 142.

2 المرجع السابق، ص 143.

الألفاظ وتشبَّه بها وتقرّب منها أكثر ما يمكن على ما فعلوا قديما بالألفاظ حيث قرّبوها في الشّبه من المعاني ما أمكنهم من التقريب، فيدوّنون بها في الكتب ما عَسِرَ حفظه عليهم، وما لا يؤمن بأن ينسى على طول الزمان وما يلتمسون إبقاءها على من بعدهم وما يلتمسون تعليمها، وتفهيمها من هو خاءٍ عنهم في بلد أو مسكن آخر.[1] (ص 144)

عوامل اكتساب اللغة عند الفارابي

أعطى الفارابي لعامل الحفظ الدور المهم بعد الكتابة والتدوين في صناعة اللسان حيث ذكر أنّه مِن بعد ذلك يُرى أن يحدث صناعة علم اللسان قليلا قليلا بأن يتشوق إنسان إلى أن يحفظ ألفاظهم المفردة الدالة بعد أن يحفظ الأشعار والخُطب والأقاويل المركبة، فيتحرى أن يفردها بعد التركيب.

كما أن للسّمع الأهمية البالغة في التحصيل بداية من الحروف إلى الألفاظ إلى الجمل وصولا للتراكيب بقوله: "يجب أن يعلم من الذين ينبغي أن يؤخذ عنهم لسان تلك الأمة فنقول إنّه ينبغي أن يؤخذ عن الذين تمكّنت عاداتهم لهم على طول الزمان في ألسنتهم وأنفسهم تمكّن يحصّنون به تخيل حروف سوى حروفهم والنطق بها وعن تحصيل ألفاظ يسوى المركبة عن حروفهم وعن النطق بها ممّن لم يسمع غير لسانهم ولغتهم أو ممّن سمعها وجفا ذهنه عن تخيّلها ولسانه عن النطق بها"[2]

وبهذا تحدث الصنائع، صناعة الخِطابة، الشّعر، الكتابة وصناعة علم اللسان، تبدأ من الاستنباط والمعرفة إلى الفحص والتصحيح والمراجعة إلى الاستعمال ومع هذا اختلفت الآراء حول الملّة التي

1 ينظر أبو نصر الفارابي، الحروف، تحقيق محسن مهدي، ص 144.
2 المرجع السابق، ص 145.

ربطها الفارابي بالفلسفة الى اكتملت بِاكتمال الصنائع القياسية كلّها بعضها عن بعض على الجهة والترتيب الذي اقتضاه كانت ملّة صحيحة في غاية الجودة فأمّا إن كانت الفلسفة لم تصرّ بعد برهانيّة يقينية في غاية الجودة، بل كانت بعد تصحّح آراؤها بالخطبية أو الجدلية أو السفسطائية، لم يمتنع أن تقع فيها كلّها أو في جلها أوفي أكثرها آراء كلّها كاذبة لما يشعر بها، وكانت فلسفة مظنونة أو مموّهة، فإذا أنشئت ملّة ما بعد ذلك تابعة كتلك الفلسفة، وقعت فيها آراء كاذبة كثيرة، فإذا أخذ أيضا كثير من تلك الآراء الكاذبة اخذت مثالاتها مكانها، وهكذا كانت الألفاظ المعبّرة عن الفلسفة تختلف عن ألفاظ معبّرة أخرى ونُقِلت دون أن يعرفوا أنّها تابعة لفلسفة ولا أنّ ما فيها مثالات لأمور نظريّة صحّت في الفلسفة ببراهين يقينية، بل سُكت عن ذلك حتى ظنّت تلك الأمّة أنّ المثالات التي تشتمل عليها تلك الملّة هي على حق.[1]

وحتى الأسماء اِخترعوها لاحتياجهم وواضع الملّة إذا لم يخترعها ينقل لما يريد أسماء تقرب الأشياء التي لها أسماء عندهم شَبَها، وهكذا ينقلونها من ملّة أخرى سواء حسب معاني أرادوها أو تكون مُشابِهة حسب تخيّلاتهم.[2]

إذن اللغة عند الفارابي بدأت بحروف وتكوّنت إلى ألفاظ عن طريق السّمع مع عملية التّصحيح، والتدقيق، وأخذ الصحيح منها بالمقارنة، والتداول، من خلال عامل الحِفظ للأشعار أثناء نقلها وتداولها، وكذلك أثناء خطاباتهم وكتابة ما سمعوه وإنتقاء الغريب والمشهور منها، ليأتي الدور بعد

1 ينظر أبو نصر الفارابي، الحروف، تحقيق، محسن مهدي، ص 154.
2 المرجع السابق، ص 957.

ذلك للناظر فيها متأمّلا ما كان منها متشابها في المفردة منها وعند التركيب، ويؤخذ منها أصناف المتشابهات منها، وبماذا يلحق كل صِنف منها فيحدث لها عند ذلك في النفس كلّيات وقوانين كلية، فيُحتاج فيما حدث في النفس من كلّيات الألفاظ وقوانينها إلى ألفاظ يعبّر بها عن تلك الكلّيات والقوانين، ويختارون منها مالها للدلالة على المعاني.

كما أن الألفاظ المستعملة في المصطلحات العلمية عند الفارابي لها معنيان، الأول لغوي، والثاني اصطلاحي، المعنى الأول اللغوي مرتبط بالدلالة الوضعيّة، أما المعنى الاصطلاحي فهو معنى ثابت نقل إليه اللفظ عن المعنى الوضعي، وذلك ليُعبّر به عن مصطلح ما من المصطلحات العلمية مثل: النحو، الإعراب، الصرف، البلاغة، البيان، البديع.

وهذه الألفاظ النوع الذي يرتبط بالمعنى اللغوي والثاني الوضعي الاصطلاحي، وقد عبّر عن ذلك بقوله "فتصير الألفاظ التي يعبّر بها حينئذ عن تلك القوانين الألفاظ التي في الوضع الأول فالألفاظ التي في الوضع الثاني منقولة عن المعاني التي كنت تدلّ عليها".[1]

اللحن في اللغة: رأى الفارابي أنه يطرأ اللحن في اللغة بسبب اختلاط أهلها بأقوام ليسهوا منهم، والألسنة الدخيلة تؤثر بالخروج عن أصول لغتهم في مفرداتها وتراكيبها ورأى أن اللغة لا يجب أن تؤخذ إلّا من الأقوام الذين لم يختلطوا بغيرهم من الأمم الأخرى أي من الذين تمكنت عاداتهم لهم على طول الزمان في ألسنتهم وأنفسهم، تمكّن يحصّنون به عن تخيّل حروف سوى حروفهم، والنطق بها، وعن تحصيل ألفاظ مركبة عن حروفهم، وعن النطق بها ممن لم يسمع غير لسانهم ولغتهم، أو ممن

1 ينظر الفارابي وآراؤه اللغوية في كتابه الحروف، دراسة عدنان محمد سلمان، ص 09.

سمعها وجفا ذهنه عن تخيّلها ولسانه عن النطق بها وإذا كانت حروف وألفاظ أو أقاويل مركبة من حروف وأقاويل غير تلك الأمة تصير خطأ ولحنا غير فصيح، وقد رأى الفارابي أنه من المستحسن أخذ اللغة من سكّان البريّة لأنهم أبعد من أن يتركوا ما قد تمكّنوا منه بالعادة عكس سكان المدن والقرى وأهل الصدر، وهذا بسبب الخوف من الاختلاط الذي ينجم عنه اختلاط اللغة أثناء علاقاتهم التي يحتاجون فيها إلى استعمال مختلف الألفاظ العجِمة عند المحادثة فتحصل العجمة واللكنة وتصبح الألفاظ عسيرة وقبيحة.

سبق الفارابي ابن جنّي في أخذ اللغة عن أهل البدو غير أهل المدر أي سكان المدن والقُرى، وقد أُخِذت لغة البصريين عند البدو عكس الكوفيين الذين أخذوها عن أهل الأمصار والمتحضرين وهذا ما فضّله الفارابي.[1]

فلغة قبائل العرب مثل قيس، وتميم، وأسد وطيء وهذيل هم معظم من نقل عنه لسان العرب ومن خلال هذه القبائل اعتمد عليهم علماء العربية المعاصرة في كتبهم وبحوثهم.

ولكنّهم نقلوه من السّيوطي وذلك لأنهم لم يطلعوا على كتاب الحروف القيّم للفارابي غير أن هذا الأخير ذكر أنه أخذ من كتاب الألفاظ والحروف الفارابي.[2]

1 ينظر الفارابي وآراؤه اللغوية في كتابه الحروف، دراسة، عدنان محمد سلمان، ص 10.
2 المرجع السابق، ص 11.

التنظير عند الفارابي

رأى أنه قائم على قصدٍ من الواضع، حيث أنه وضع الألفاظ في قالب واحد ما دامت لمها معاني متشابهة ومتفقة عن سعي منه "حيث أن في المعاني تبقى معاني تبْقى واحدة بعينها تتبدل عليها أعراض تتعاقب عليها، كذلك تجعل في الألفاظ حروف راتبة وحروف كأنها أعراض متبدلة على لفظ واحد بعينه، كلّ حرف يتبدل لعرضٍ يتبدّل، فإذا كان المعنى الواحد يثبت وتتبدّل عليه أعراض متعاقبة، جعلت العبارة بلفظ واحد يثبت ويتبدل عليها حرف حرف، وكل حرف منها دالّ على تغيير تغيير"[1]، وهنا الفارابي يقصد الاشتقاق، والوظيفة الدلالية، واللغة قائمة على نظام التناظر في الصّيغ التي تتشابه فيها الأعراض الطارئة عليها، واللغة تخضع لنظام تحرّاه الواضع وتطلبه في الألفاظ تحريا، فالعبارة تكون معبّرة على معانٍ بألفاظ شبيهة بتلك المعاني، وهذا النظام هو ما ساعد علماء اللغة العربية من حصر المعاني المتشابهة في صيغ متماثلة، ويتمثل هذا في أبنية المفردات العربية كأبنية المصادر والصبغات والأفعال ومعاني حروف الزّيادة.

ويعدّ عامل التلقّي للّغة مهم عند الفارابي بحيث يأخذها منه المتلقّي بمعنى علاقة السابق باللاحق، وهي علاقة الاعتياد على النطق وتمكّن اللغة في ألسنة أبناء الأمة، ويعتدونها دون لحن فينطقون بها حروفا وألفاظا وأقاويل كائنة عنهم، وهكذا يتعوّدون استعمالها دون اختلاط بالعجم وأقاويلهم فلن تفسد ولن تعرّض للخطأ.[2]

1 ينظر الفارابي وآراؤه اللغوية، في كتابه الحروف، دراسة عدنان محمد سلمان، ص 11.
2 المرجع نفسه، ص 12.

وهكذا إذا استقرت لغتهم الحقيقية ودلالتها صار العرب يتصرّفون بها ونقل معانيها إلى دلالات جديدة قائمة على التجوّز والاستعارة فدلالة الألفاظ هي الأصل فيقدرون حتى على النسخ منها، والوصول إلى الاستعارات والمجازات، وتوسيع العبارات بتكثير الألفاظ وتبديل بعضها ببعض وترتيبها وتحسينها، فكان الفارابي أول من تحدّث عن الحقيقة والمجاز.[1]

وهذه هي الدراسة التي قدّمها الفارابي أظهر فيها جهوده القيمة من خلال كتابة الحروف للدّرس اللغوي كفيلسوف اسلامي قديم اهتمّ بالمباحث اللغوية والنحوية آنذاك العالم الأوّل في دراسة هذه اللغة التي خصّها الله في كتابه العزيز قبل أن يخصّها الإنسان.

"إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"[2]

1 ينظر الفارابي وآراؤه اللغوية، في كتابه الحروف، دراسة عدنان محمد سلمان، ص 13.

2 سورة يوسف، الآية 2.

الفصل الثاني: نظريات الاكتساب اللغوي في الدرس اللساني الحديث

تمهيد

كان لدراسة اللغة مفهوما آخر عند العلماء الغربيون ناهيك عن الدراسات العربية التي ذكرناها سالفا، ولأنها حدث اجتماعي بالدرجة الأولى فقد ظهرت نزعة اجتماعية على يد العالم الأول السباق في دراستها العالم دي سوسير (1913) بعد الدراسة الرياضية ونظرية الانطلاق في الدراسة الآنية للظاهرة اللسانية التي ظهرت على يد العالم كانتور (1845-1918) ولا طالما عرفت الدراسات الغربية اتباع المناهج العلمية البعيدة عن الموضوعية التي تتصف بالذاتية والتخمين، والتأمل العقلي وتخضع للتحليل العلمي للظواهر الاجتماعية ووصفها.

وبعدها ظهرت نظريات غربية حديثة، كانت لها إثراءات كبيرة وتوجهات عديدة حول اللغة وكل ما يتعلق بها من مفهوم وطرق اكتسابها وتحليلها محاولة الوصول إلى تفسيرها وتحليلها والتعمق فيها وهذه النظريات سُمّيّت بناءً على أهم خاصية اعتمدتها كل منها في عملية اكتساب الملكة اللغوية وهي النظرية السلوكية، النظرية العقلية "الفطرية البيولوجية"، والنظرية المعرفية، وهذا ما سنتطرق له في فصلنا هذا.

المبحث الأول: النظرية السلوكية

تعتبر النظرية السلوكية من بين النظريات الغربية التي كانت تحظّ جلّ اهتمامها حول دراسة سلوك الإنسان والحيوان، وموضع اهتمام العلماء والفلاسفة والمفكرين وخاصة سلوك الإنسان من خلال التعلم والادراك والكلام.

إن أصحاب هذه النظرية هم كثيرون وهم: إيفان بافلوف Ivan pavlov (1849-1936). اعتمد على المنهج التجريبي ومن خلال دراسته للجانب الفيزيولوجي بحث عن قانون الافرازات الغددية وانعكاساتها على التغيرات النفسية للإنسان، وهذا من خلال اعتماد أسلوب العلم الطبيعي الذي يجمع وقائع تعتمد على المشاهدة والملاحظة.

مبادئ نظرية بافلوف

إن من مبادئ نظرية بافلوف هي:

1. اعتبار الجهاز العصبي هو جهاز ربط بين عالم الإنسان الداخلي والخارجي ولكن يتم بتوازن، حيث يستجيب الكائن بطريقة معينة تحقق التوازن بينه وبين بيئته.
2. وجود انعكاسات

أ. الأولى طبيعية غير شرطيّة تتميز بالثبات تكون تحت تأثير المثير الخارجي والسيالات العصبية، وأن السلوك يكون تحت تأثير المثير فتحدث الاستجابة للكائن بطريقة ما وهنا يدخل دور الحس

ب. الانعكاسات المعقدة: وهي الحسية أو الدفاعية تجاه البيئة غير الثابتة وهي تتغير بتغير البيئة الخارجية ومنها تحدث عملية التعلم، واكتساب مختلف أنماط جديدة من النشاط.

3. إن الفعل المنعكس الشرطي هو أساس العادات والتعلم والسلوك المنظم.

4. يعتبر المثير الطبيعي أو غير الشرطي هو الذي يُظهر الاستجابة عند حدوثه أول مرة.

5. تعتبر الاستجابة الشرطية الاستجابة التي تحدث تحت تأثير المثير الشرطي، أما الاستجابة غير الشرطية هي الاستجابة الطبيعية التي يحدثها المثير غير الشرطي، وهنا تعتبر الاستجابة غير الشرطية انعكاس قوي وقع نتيجة وجود المثير غير الشرطي.[1]

6. إن التعلّم يحدث نتيجة الاستجابة، فعلاقة الطعام وإفراز اللعاب هو علاقة مسطرة بين المثير والاستجابة، الطعام حافز وافراز اللعاب هو استعداد للأكل كاستجابة.

7. عوامل قوة الاستجابة الشرطية تخضع لقانون الاقتران الزّمني، وحينها يكون الاشتراط بسرعة يكون الفاصل الزمني بين المثير الشرطي وتقديم الطعام قصيرا.

8. يضعف الفعل المنعكس الشرطي أو ينطفئ إذا ظهر المثير الشرطي دون تدعيم بالمثير الطبيعي، وهذا نتيجة انطفاء الاستجابة الشرطية لتقديم المثير الشرطي لفترة طويلة دون تعزيزه بالمثير الطبيعي والاستجابة الشرطية تعود للظهور مرة أخرى، إذا قدم المثير الشرطي بعد فترة من الزمن وبالتالي فإن ظهور الاستجابة واضمحلالها لا يعني زوالها.

1 إعداد أ. علي راجح بركات، نظريات التعلّم السلوكية، المدرّس بوك، 2004، ص 06.

9. تضعف أو تختفي الانعكاسات الشرطية الثابتة بسبب المثيرات الخارجية القوية، وهذا هو الكف غير الشرطي.

10. يحدث تعميم إذا استجاب الكائن للمثيرات الشرطية بنفس الاستجابة.

11. يحدث تمييز إذا تكرّر المثير الشرطي الخاص وقُورن بغيره حيث حين يتم التغليب والتفرقة بين المثير الأصلي والمثيرات الشبيهة نتيجة لتدعيم المثير الأصلي وعدم تدعيم المثيرات الشبيهة به وهو نوع من التدعيم الانتقائي أساسه التدعيم والإنطفاء.[1]

ومن رواد هذه النظرية أيضا هو: بورهوس فريدريك سكينر (B-F Skiner ،1957)، صاحب المذهب السلوكي الراديكالي، ويرجع إليه الفضل في اعتماد مبدأ الاشتراط الاجرائي، وهو ينتمي إلى علماء النفس الارتباطين الذين ارتكزوا على التعزيز كعامل أساسي في عملية التعلم، ويعود الفضل للعالم سكينر في اعتماد التعزيز لحل مشكلات التربية في التعلم.

– أعطى سكينر للتعليم نوعين مهمين يختلف فيهما، أولا اعتماد السلوك الاستجابي وثانيا السلوك الاجرائي.

مبادئ نظرية سكينر

ومن المبادئ التي ارتكز عليها في نظريته هي:

1 أ. علي راجح بركات، نظريات التعلم السلوكية، ص 07.

1- الاشتراط الاجرائي: وهو خاضع لمبدأ المثيرات والاستجابات، وينظر سكينر إلى السلوك في الاشتراط الاجرائي على أنه مكون من وحدات يطلق عليها الاستجابات تدخل فيها البيئة، وسكينر يرى أن مؤثرات نفس الكاتب الداخلية والخارجية ليست بالضرورة عوامل دافعة أو منشئة لسلوكه.[1]

- قسّم سكينر البيئة إلى مستويات:

1- المستوى الأول: وهو المثيرات المستصدرة: Elieting stimuli وهي تتمثل في الأحداث البيئية، وهي تسبق عادة حدوث الاستجابات وهذه المثيرات تعمل على إنشاء الاستجابات النمطية المحددة نسبيا.

2- المستوى الثاني: وهو المثيرات المعززة: Reinforcing stimuli وهي الأحداث البيئية وعادة تُحدِث الاستجابات وتعمل المثيرات المفرزة على زيادة احتمال تكرار الاستجابات في سلوك الكائن الحي في المواقف التالية والاستجابات التي تصبح أكثر احتمالا في السلوك هي التي تليها المعززات، وهي ما تعرف بالاستجابات الاجرائية.

3- المستوى الثالث: وهي المثيرات المميزة Diseriminative stimuli وهي المثيرات التي تسبق وتصحب الاجراءات، ولكنها لا تعمل على إنشائها كما في حالة المثيرات المستصدرة في السلوك الاستجابي.

1 ينظر أنور محمد الشرقاوي، التعلم، نظريات وتطبيقات، 2012، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ص 80.

4- المستوى الرابع: وهو ما يعرف بالمثيرات المحايدة neutral stimuli وهي كل الأحداث البيئية التي تظهر أثناء الموقف السّلوكي، ولا يكون لها أي تأثير على سلوك الكائن الحي.[1]

سكينر يرى أن اللغة هي مهارة تكتسب عن طريق التقليد والمحاكاة وعن طريق المحاولة والخطأ، وهذه المهارة تحتاج إلى السّند والدّعم باستخدام وسائل المكافأة مثلا، وهذه المكافأة تأتي على شكل التقبل من الوالدين وإظهار الرّضا والاعجاب والتأييد للطفل، واطعامه ويمكن له الحصول على الدعم والتأييد الاجتماعي كذلك، وهذا ما يسمّى بالاشتراط الاجرائي operant conditioning والطفل من خلال التقليد والمحاكاة فإنه يأخذ الخبرات من بيئته عن طريق المحيطين به، فهو عندما ينشأ بالتأكيد سيجد أسماء الموجودات وألفاظ المدلولات على الأشياء الموجودة في بيئته، ويأخذ مأخذهم في نطق الأصوات، وهذا ما يسمّى بالتعزيز، بهذه الأفكار فإن أصحاب النظرية السلوكية أعطوا كل الاهتمام والدور في اكتساب اللغة إلى عامل المثير والاستجابة والتعزيز متناسين نصوصية اللغة.[2]

كما أن إضافة إلى ما ذكرناه من أساسيات النظرية السلوكية في الاكتساب اللغوي من عوامل المثير والاستجابة والتعزير وما أسموه بالاشتراط، هناك أيضا مبدأ آخر وهو مبدأ التعلم.

1 ينظر أنور محمد الشرقاوي، التعلم، نظريات وتطبيقات، ص 80.

2 نبيل عبد الهادي وآخرون، تطور اللغة عند الأطفال، ص 100.

-مبدأ التعلّم: اعتمدته النظرية السلوكية كآلية اكتساب وهو مبدأ المعرفة البحت ظهر بظهور النظرية الاتصالية على يد جودت جرين (Judith- Green)، تبحث عن عملية الاتصال بالعامة والاتصال اللغوي بالخاصة، تعتبر اللغة الإنسانية وسيلة محتب وسائل التواصل.

إنّ التعلّم وبما أنّه أحد أساسيات الاكتساب سعة، فإنه يرتبط بشروط هو أيضا وله عوامل تساعد في العملية وهي تتمثل في؛ أولا: النضج وهو نمو داخلي يحدث بكيفية غير شعورية حدث غير إرادي يرتبط بعملية إرادية للفرد تمكنه من الكسب والمعرفة، كما أنه ثانيا: نجد الاستعداد؛ وهو تهيأ الطفل لتعلم مهارة القراءة واهتمامه بها، وثالثا: هناك عامل الفهم، إذ أنّه يتوجب على المتعلم فهم ما يُلقى إليه من المعلم وهذه تسمى عملية تواصلية اتصالية عبر لغة مشتركة، أما العامل الرابع: فهو التكرار، وهو استمرار حدوث الفعل القائم على العلاقة القائمة بين المثير والاستجابة، وتسمى عادة مما يجعل الذاكرة تُرَسِّخُه بها ولا يزول، وكل هذه المكتسبات عند النظرية السلوكية لا يمكنها أن تتم إلا بالفعل المنعكس الشرطي يحدث بتكرار عادة ما وجعلها مثيرا لاستجابة ما مثل استعمال الجرس لحيوان الكلب عند إحضار الطعام له بدلا من الجوع، وهذه التجربة استعملها بافلوف (1849-1936) (PAVLOV).[1]

وقد ذكروا قانون آخر وهو قانون التدريب ويظهر هذا القانون في حالتين أولها تقوية الصّلة التي يكتشفها المتعلم عند استجابته للمثير خاصة إذا كانت نتائجه واضحة، والحالة الثانية هي تطور تلك الصّلة أو إهمالها من طرف المتعلم فتزول قوة تجربته.

1 أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 32/ 33.

وذكروا أيضا قانون آخر وهو قانون الأثر الناتج عن المحاولة، فالمتعلم يحتفظ بالاستجابات الناجحة التي تترك أثرا إيجابيا.[1]

أما الرائد الثالث للمرحلة السلوكية فهو العالم جون واطسون (1878- 1958) Jon. B. Watson، وقد تأثر بالعالم بافلوف، وكان قد أعطى الاهتمام للقدرات المعرفية والوجدانية للكائن العضوي في التعلم معتمدا الجانب التجريبي، إضافة إلى جانب الأحداث السلوكية التي يمكن التوصل إليها بطريقة تجريبية، بينما ازداد الاهتمام بالدافعية والاقتران والتّعزيز، وقام أصحاب هذه النظرية مثل هربارت مور روباروس إف، وسميت، بتطوير التعليم المبرمج كما نجد أيضا أبحاث إيبنجها وس، واهتمامه بدراسة الذاكرة، ودراسات تورندايك وقانونه عن الأثر، وهل ونظريته في التعزيز مثله مثل سكنر الذي طالب باستخدام الآلات التعليمية في نظرية التعزيز الأساسية على ميدان التربية.[2]

يقول واطسون عن مبدأ التعلم "لو وضع تحت تصرّفي اثنا عشر طفلا رضيعا يتمتعون بصحة جيدة وبنية سليمة وطلب منّي أن أعلمهم بالطريقة التي أعتقد أنها المثلى للتعلم فإنني قادر على تعليم أي هؤلاء الأطفال بطريقتي هذه بحيث يصبح مختصا في المجال الذي اختاره له كأن يكون طبيبا أو محاميا أو فنّانا أو رجل أعمال بغض النظر عن مواهبه أو اهتماماته أو ميوله أو قدرته أو مهنة آبائه وأجداده أو الجنس الذي ينتمي إليه".[3]

1 أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 36.

2 تحرير جورج إم غازدا وآخرون، نظريات التعلم، دراسة مقارنة، ترجمة د. علي حسين، ومراجعة الدكتورة عطية محمود هنا، 1983 م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 17.

3 المرجع السابق، ص 25.

إن النظرية السلوكية تربّعت على عرش علم النفس، وزعيمها واطسون (Watson) ركّز على العلاقة بين اللغة والكلام والفكر وأرجع الفكر على أنه مجرّد عادات حركية في الحنجرة.

إن مبادئ نظرية جون واطسون (Watson):

إضافة إلى ما ذكرناه من أساسيات اعتماد واطسون في نظريته السلوكية فإن واطسون أسس نظريته على مبادئ.

مبادئ نظرية واطسون

1- سلوك الإنسان هو ما يصدر عنه من أفعال وأقوال.

2- تخضع أفعال وأقوال الإنسان إلى منبهات خارجية تدفعه لها.

3- يولد الإنسان وهو يملك استعدادات أو قدرات عقليه.

4- يكون الإنسان عاداته مما أسماه المثير والاستجابة، وليس الشعور والانفعالات.

5- رفض واطسون استخدام الوعي والوجدان، لأنهما مبهمات بل يرتكز على الأفعال والأقوال التي تحدد سلوكيات الفرد، وعلم النفس عنده يدرس الإنسان من حيث وظيفة وحمل كل عضو بمفرده ويرى أن كل فعل هو رد فعل عن منعكس شرطي، وكل شخصية هي عبارة عن مجموعة عمليات تشريطية والعمليات الشعورية عنده خاضعة لقوى طبيعية.

6- تطور السلوك الإنساني يعتمد على التعلم أو هذه الأساسيات تطبق على عملية الاكتساب ومن بينها اكتساب اللغة.[1]

كل تركيز النظرية السلوكية حول اكتساب اللغة كان حول القوى الخارجية التي تشكل سلوكيات الطفل اللفظية الواسعة الأطفال أثناء فترة اكتساب اللغة، وتختلف باختلاف بيئاتهم، والطفل يُعد مستجيب لهذه القوى، ولعل سكنر هو أبرز المنظرين على أنّ الكلام سلوك متعلم، على ما سمّاه بالاشراط الإجرائي.

فالإجراء: هو أي سلوك يمكن أن يتأثر حدوثه بالاستجابات التي تعقبه أو هو رد فعل الكائن تجاه البيئة.[2]

فالأحداث تسبق السلوكيات المطلوبة، فالكلام تحدث سلوكياته في تتابع وهذا التتابع يسمّى التسلسل، فمثلا منظر الطعام هو مثير مميز لمص الطعام، وفي نفس الوقت معززا للقيام بتصفح مجلة الأطعمة والنظر فيها، تذوق الطعام ونفس الإجراء يمكن استخدامه في شرح تتابع السلوكيات التي تتضمن اللغة. فالطفل يرى أمّه تتأهّب للخروج ويعتقد أنَّها تبدو أنيقة ولهذا فهو يقول "أمي إنك تبدين أنيقة" وتردد الأم "شكرا لك" وهذه هي المهارة عند سكنر تنمو من خلال المحاولة والخطأ وتُدَعَّم بالمكافأة، وتنطفئ إذا لم تقدّم المكافأة، وهذه المكافأة تعني التقبل من الوالدين ويتم تقديم

1 أ. علي راجح بركات، نظريات التعلم السلوكية، المدرس بوك، ص 09/ 10.
2 نبيل عبد الهادي وآخرون، تطور اللغة عند الأطفال، ص 99.

ماهيتها على أنها التأييد الاجتماعي أو إطعام الطفل... وهكذا يتعلم الأطفال من خلال الاشراط الاجرائي operant conditioning.

وكما أنّ الخبرة المكتسبة من التقليد فيما يخص تسمية الأشياء وكذلك نُطق الجمل والعبارات بتراكيبها تتكرر في ذهن الطفل حتى يُحسن تقليدها ومن خلال المثير والاستجابة والتعزيز يكتسب الإنسان اللغة.[1]

ورابعا: نجد ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomield (1887-1949) حيث نجده قد طوّر كتابه مدخل إلى دراسة اللغة إلى كتاب اللغة، وطور النظرية السلوكية إلى نظام الوصف، ووصف بنية النظام اللساني وأركزها على بعض الأسس والتي هي:

1- عدم الاهتمام بالجوانب العقلية الذهنية كالتصور والفكر.

2- إعطاء الأهمية في الاكتساب للتعلم.

3- أن التواصل اللغوي هو الاستجابات لمثيرات تقدمها البيئة أو المحيط وأرجع هذا كله أنه يحصل بالسّمع فالمتكلم يحدث الأداء الفعلي للكلام ورد الفعل أو الاستجابة التي يتطلبها المستمع.[2]

بلومفيلد وسع النظرية السلوكية إلى السلوكية التوزيعية، وهذا من خلال توزيع العناصر اللغوية ضمن السياق الذي ترد فيه، وهذا ما يسمى بموقع فئات الكلم وتوزيعها ضمن سياقها المألوف وهذا

1 نبيل عبد الهادي وآخرون، تطور اللغة عند الأطفال، ص 100.

2 أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 21.

من خلال تحديد الفئات التي تنتمي إليها واستكشاف تآلفها فيما بينها، هذه النزعة وردت قبلا وانحدرت من منهج تاريخي قديم أنشأ نفسه بشكل جديد يحسبها أقطاب الاتجاه التوزيعي في اللسانيات المعاصرة من مستحدثات القرن العشرين غير أنه كان قبلاً للنحاة العرب وهو منهج وُجد عند عبد القاهر الجرجاني (8471) في كتابه الجمل، عندما تناول توزيع الفعل ضمن الحوالية التي يرد فيها والتي لا يكاد يفارقها، حيث قال في هذا الشأن "والفعل ما دخله قد وسوف والسين، نحو قام وقد قام، وقد يقوم، وسوف يقوم، وتاء الضمير وألفه وواوه، نحو: أكرمت وأكرما وأكرموا، وتاء التأنيث الساكنة، نحو: نعمت، وبئست، وحرف الجزم؛ لم يضرب".[1]

إن ما انتهى إليه الجرجاني هو الوعي والتعمّق في الكلام وليس الاغتباط وهنا نحصر الأسباب الرئيسية للاكتساب اللغوي في النظرية السلوكية التوزيعية على أنها تعتمد على البيئة- السمع- التقليد- المحاكاة- التعزيز والمكافأة يحدث هذا بناءً على الحدث الاجرائي والاستجابات وتاليها إلى موضِع الوحدات والعناصر اللغوية في ترتيبها وتموقعها الصحيح في الكلام.

لم تضم النظرية السلوكية كل من واطسون وسكينر وبافلوف وبلومفيلد بل نجد أيضا خامسا إدوارد لي ثورنديك (عالم نفسي أمريكي) (Thorndike) (1874 - 1949)، وقد استخدم أسلوب التعزيز والاشتراط والمثير في تعليم الفرد، كما أنّه اعتبر البيئة المثير الشرطي كونها تحمل الموقف التعليمي، وما فيها من العناصر الموجودة، وتكون الاستجابة غير الشرطية غير محددة وليس ضروريا أن تكون الاستجابة غير الشرطية لمثير الطعام (المثير المعزّز) هي جذب الخيط أو شد السقاطة... وتكون

1 أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 22.

الاستجابة الشرطية التي تنشأ عن وجود مثير يسبق المثير المعزّز والاستجابة الشرطية التي تنشأ عن وجود مثير يسبق المثير المعزز، والاستجابة الشرطية تكون عن إرادة حركية تشبه سلوك جذب الخيط ونادرا ما تشبه الاستجابة غير الشرطية.[1]

كما أن إدوارد يؤمن بعامل المكافأة، والتكرار، ويعتمد أيضا قانون الاستعداد والنضج والممارسة في عملية الحصول على سلوك إنساني مالك للمعرفة والتعلم.

ونجد أيضا سادسا من أصحاب النظرية السلوكية ادوين جاثري (1886 - 1959) اعتبر أن العلم في علم النفس مرتبط بالإشراط المتزامن ولم يعترف بالدور الفعال للمخ والجهاز العصبي، مذهبه يشبه مذهب واطسون وهو مبدأ الاقتران في التعلم واعتبر أن مهارة التعلم عبارة عن الحركات الفردية الفعلية عن طريق الممارسة، وبهذا التعلم يقترن بمجموعة المؤثرات المشاهدة باستجابات الفرد دون الحاجة إلى تدعيم أو تعزيز هذه العلاقة، وهنا نجد أن النظرية السلوكية ولو اختلفت قليلا حول أساسيات مؤسسيها غير أن نظرهم مشترك وهو اعتماد المثير كشرط للاستجابة في عملية التعلم واكتساب المعرفة، وأتباعها كثيرون على غرار علماءها الذين ذكرناهم سالفا.[2]

أعطت دراسات النظرية السلوكية بالغ الاهتمام لعامل التعلم والبيئة والمحاكاة وممارسة المتلقيات من مختلف الأصوات والأفعال الدور في اكتساب الطفل لنماذج مجتمعه اللغوية، في حين تناست بعض الجوانب الطبيعية والتي تعتبر مشكلات تعرف تقدم الطفل وتعلمه، وتتمثل في:

1 علي راجح بركات، نظريات التعلم السلوكية، ص 14.
2 المرجع السابق، ص 22.

اضطرابات الكلام واللغة مثل: التهتهة، البكم، الحبسة الصوتية بالإضافة إلى بعض الاضطرابات والأعراض الخلقية التي تمنع عنه التقدم، وحتى أنها يُعيق تعلمه، ومن هذا المنطلق فإن نظرية بافلوف وواطسون منادوا تحقيق الهدف السلوكي بالحقائق العلمية والتجريبية وأن وجود وظهور العلاج السلوكي كان مرتبط ظهور نظرية التعلّم، غير أنّه أصبح شائعا الآن بين طوائف المعالجين السلوكيين عدم الاعتماد على ربط العلاج السلوكي بنظريات التعلم هذه وحدها بل يجب أن تمتد لجوانب أخرى من التقدم العلمي في نظريات الشخصية والمعرفية والاجتماعية في علم النفس، وهكذا يكون سياق العلاج متعدّد الأوجه.[1]

وبما أن اللغة هي الأصوات المعبّرة عن المعنى المراد وإضافة إلى ما يصيب الإنسان من اِضطرابات اللغة والكلام، فهناك أيضا جملة من الاضطرابات التي تصيب الصّوت ونجد منها:

1- الصوت الهامس breathiness

2- الصوت الغليظ harshness

3- بحة الصوت hoarseness

يتميز الصوت الهامس بالضعف والتدفق المفرط للهواء وغالبا ما يبدو الصوت وكأنه نوع من الهمس الذي يكون مصحوبا في بعض الأحيان بتوقف كامل للصوت.

1 تأليف د. عبد الستار إبراهيم وآخرون، العلاج السلوكي للطفل، أساليبه ونماذج من حالاته، سلسلة كتب ثقافية شهرية من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 180، 1978، ص 31.

أما الصوت الخليط الخشن، فغالبا ما يكون صوتا غير سار ويكون عادة مرتفعا في شدّته ومنخفضا في طبقته يكون إصدار الصوت فجائيا ومصحوبا بالتوتر الزائد. ومن أسباب هذه الاضطرابات، قد تكون جينية أو عضوية أو نفسية.[1]

كما أنَّ اضطراب النمو اللغوي يتمثل في تأخر الكلام والتواصل، ومع هذا الاضطراب ينجم عدم نطق الكلمات الصحيحة بصفة جيّدة. وهذا راجع لعدم تمكّنه من تنظيم الأصوات والمقاطع داخل الكلمة أو اكتسابه لذلك بصفة متأخّرة، وكل هذا يرتبط بتأخّر اللغة، فالطفل المتأخر في الكلام يجد صعوبة في النطق لبعض المقاطع الصوتية (الحروف) داخل الكلمة بالرغم من أنه يتمكن من ذلك وهي منعزلة، كما أنه يجد صعوبة في التتابع الزمني ويقطع الكلمة كنطق بط/ على حدَى ثم طا على حدا آخر.[2]

وإضافة إلى ما ذكرناه من روّاد المدرسة السلوكية نجد أيضا كل من دولر وميلر، وهل، وتولمان، والذين اعتمدوا أيضا السلوك البشري أساس الاكتساب عن طريق التعلم، وما هو إلا عملية محاكاة وتكوين، لأنّ الطفل ومنذ صغره يحاكي الأصوات والأنماط التي يسمعونها ويتلقّونها من حولهم، ويمارسونها، حتى يصبحون يستعملون اللغة استخداما صحيحا، وهنا لم ينكروا دور البيئة التي ينشؤون فيها إذ منها يتلقّون التشجيع والتحفيز لأنها مصدر ما يحتاجه الطفل أو يتعلّمه.[3]

1 ينظر، سعيدة فاضلي، تطور الأصوات اللغوية ودلالتها عند الطفل من خلال كتاب تطور اللغة عند الاطفال لنبيل عبد الهادي وآخرين عرضه وتحليل، 2015، جامعة أحمد دراية أدرار، كلية الآداب واللغات، ص 70.

2 المربع نفسه، ص 60.

3 ترجمة علي أحمد شعبان، كيف نتعلم اللغات، الطبعة الأولى، 2006، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، ص 44.

المبحث الثاني: النظرية العقلية (الفطرية – البيولوجية)

بعد ما عرفنا أن النظرية السلوكية مبادئها قائمة على الاعتماد على السلوك الإنساني ومتغيراته بتغير المثير واعتبار سلوك الإنسان خاضع لبيئة نشأته بالإضافة إلى ما ذكرناه من أساسياتها، سنتطرق لثاني نظرية وفي العقلية (الفطرية– البيولوجية).

من روّادها العالم اللغوي المعاصر نعوم تشومسكي (1928 م)،[1] نجد أنه لم يفصل بين علم اللغة وعلم النفس والفلسفة ورأى بأنها علوم متصلة ببعضها البعض، وأنّ علم اللغة قادر على أن يسهم في معرفة طبيعة العقل البشري، بما أنّ العقل أساس ومنبع المعرفة بمروره عن طريق كومة التجارب الزمنية في حين أن أصحاب المذهب التجريبي يرتكزون على التجربة ويرون أنها أساس المعرفة، وظل هذا الاختلاف والخلاف بين هذين المذهبية طوال قرنين، القرن السابع عشر والثامن عشر.[2]

وكما أنّ علم اللغة الحديث لم يمنع من الصاق العلمية بالقواعد النحوية التقليدية، ويرى أن المادة الطبيعية للتعبير باللغة هي الصوت الذي تحدثه أعضاء النطق وأن اللغة المكتوبة.

مشتقة من الكلام وأن القواعد النحوية لأي لغة تتكون من ثلاث أجزاء مترابطة في النحو، والدلالة، والفونولوجيا.[3]

1 نعوم تشومسكي: هو فرام نعوم تشومسكي ولد عام 1928 م، أستاذ لسانيات وفيلسوف أمريكي، عالم إدراك وعالم بالمنطق.
2 تأليف جون ليوتر، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق الدكتور حلمي خليل، الطبعة 01، 1985، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 217.
3 المرجع السابق، ص 56.

مبادئ النظرية العقلية

1- التعلم: تعلم اللغة عند العقلانيين هو عملية تواكب المتغيرات التي لم يتم حسمها من طرف النحو الكلي، بمعنى أنها عملية لها مفاتيح تجعل الشبكة تعمل وتبدأ عملها، فمثلا عند استعمال التعبير المجازي على المتعلم أن يكتشف الوحدات المعجمية مثلا للغة وخصائصها، وهنا تستعمل الأسماء التي تستعمل المفاهيم الموجودة في مخزون المتعلم من قبل، فاكتساب اللغة ليس شيئا يعمله الطفل في واقع الأمر بل يحدث له إذا وضع في بيئة ملائمة، مثل نمو الطفل البيولوجي، وتمام نضجه حسب عيشة وبيئة حافزة وملائمة له حيث أن البيئة لها دور في تحديد طريقة تثبت بها متغيرات النحو الكلي وما ينتج عنه من لغات مختلفة، والبيئة تقوم بعملية الإبصار في مرحلة الطفل الأولى من حياته، وهي تحدد كثافة المدركات، وحتى أن البيئة الغنية والفقيرة، لها أثر في عملية الاكتساب من حيث توفير الوسائل ومظاهر التّحضر، ومن شأن التعليم ووسائله ومقدار المادة التي تقدم للطالب ما يجعل له أثر في عملية الاكتساب، هذا ويجب على الطالب أن يكون له عامل الاهتمام وحب البحث والتطلع والاستكشاف.[1]

2- العقل: تشومسكي أعطى الأهمية للقواعد التي ينبغي أن يلجأ لها القائل وهو يرى أن اللغة تُدرس تحليليا بنظرة عميقة وقوانين شاملة وكذلك تفسيرها، احتكم رأي تشومسكي إلى العقل وهو ينتمي إلى العقلانيين مثل أفلاطون وديكارت وهمبولت، ورأى أن العقل هو مصدر كل معرفة وأسمى

1 ينظر نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة الدكتور حمزة بن قبلان المزيني، ط 1، الدار البيضاء، دار توبقال، 1990، ص 191- 192.

من الحواس ومستقل عنها حيث أن هناك قضايا مكتسبة مسبقة دون تجربة يقوم العقل بتفسير معطيات التجربة، أما ما رآه الوصفيون اكتفوا بوصف اللغة فقط، علل تشومسكي رأيه بأنه هناك معرفة لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق أمور حدثت بفعل الحواس، أما العقل فهو أبو الملكة حيث أن الطفل يولد مزوّد بمعرفة فطرية مجسدة في ما أسماه بجهاز اكتساب اللغة.

إنّ العقل عند تشومسكي هو بنية على شكل كتلة يمكن النحت فيها كما يشاء الإنسان، وهذه البنية في حد ذاتها تفرض وتجبر النحات على اتباع بعض القيود حين الابداع والتشكيل، وإن الإنسان له قيمة عالية وقدرات عقلية تمكّنه من المعرفة والاكتساب، جاء رأي تشومسكي منافيا ومخالفا لما جاءت به النظرية السلوكية التي أهملت القدرات العقلية والأسس الفكرية للإنسان في التعلم.[1]

كما أن الإنسان بواسطة التأمل يدرك أن له عقلا، وهو لا يشبه الخصائص في الأجساد التي يتكون منها العالم المادي، وإذا أراد الإنسان معرفة إن كانت له خصائص مشابهة لخصائص كائن آخر على اعتبار رؤية إن كان لهذا الأخير عقل أم لا، فلابد من اقتراح برنامج تجريبي كما اقترح الديكارتيون، ويعرف إن كان لهذا الكائن نفس السلوك الإنساني أم لا، ولقد كان المظهر الإبداعي الخلاق في استعمال اللغة أبرز أمثلة هذا السلوك لفتا للنظر وأكثرها درسا، فمثلا إذا وضعت أعضاء الببغاء في وضع ما تحت شروط حافزة معينة، فسيكون ما تقوله هذه الببغاء متنبئا به تماما (أو قد

1 ينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط 2، 2005، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 204/ 205.

يكون عشوائيا) لكن هذا الأمر لن يكون صحيحا في ما يخص الكائن الذي له عقل يشبه عقل الإنسان، هذه العملية تشبه الآلة التي هي مبرمجة على العمل بطريقة محددة معينة حيث توضع تحت ظروف معينة وتكون أجزاءها مركبة بطريقة معنية، وذلك على نقيض الإنسان حيث يوضع تحت الظروف نفسها، فهو في هذه الحالة يحث ويوجه فحسب لكي يتصرف بهذه الكيفية.[1]

تحدث تشومسكي عن أهمية اللغة وربطها بالفكر، حيث أنه رأى أن الإنسان إن لم تتم لديه اللغة فلن يكون لديه ببساطة مدخل إلى الجزء الأكبر من التجربة الإنسانية، ولن يكون بمقدوره أن يفكر بطريقة سوية، وربط النمو الإنساني بمنو الفكر واللغة.[2]

3- الفكر: أعتبرت نظرية تشومسكي نظرية تحليلية وهي النظرية الأهم في علم اللغة الحديث، لأنها تهتم بالنمو الفكري للإنسان إذ، لا يمكن أن يكون هناك نمو لغوي دون نمو فكري فهو نوع من الارتباط الذي من خلاله يتجسد السلوك الإنساني، حيث أن جميع الأطفال يولدون وهم مزودون باستعداد لغوي يعتمد على النواحي البيولوجية، وعند ولادة الطفل سينشأ ويكون له اتصال مع مختلف أنماط السلوك الاجتماعي من طرف الآخرين ومنهم يتلقى المادة الأساسية للكلام وذلك عبر الاستعداد والسمع، كما أنّ الطفل يمتلك قدرة القوية لغوية فطرية تجعله يستطيع الأخذ والتعلم لمصطلحات اللغة وهذا ما يجعله يكتسبها، وهذه ميزة استثنائية ميزه الله بها عن باقي الكائنات

1 نعوم تشومسكي، اللغة ومشكالات المعرفة، ترجمة الدكتور حفرة بن قبلان، ص 197.
2 المرجع نفسه، ص 275.

الأخرى، وهو مجتمعي بالدرجة الأولى ومتمدّن بطبعه، وهذا الرأي جاء منافيا لما جاءت به النظرية السلوكية التي أرجعت كل عوامل المعرفة والاكتساب عن طريق المحاكاة والتقليد والتعزير والتكرار.[1]

يعتبر اللغوي المعاصر نعوم تشومسكي وهو من أصحاب النظرية البنيوية، وخرج منها يوم أعلن عن آرائه اللغوية في كتابه "الأبنية التركيبية" الذي أصدره عام 1957 م، وأبدى فيه انتقاده اتجاه ما سمّي بالتراكيب السطحية للغة في وصفها وعلى أنها مجردة من المعنى والعقل والتفكير، وكان منتقدا للنظرية السلوكية التي كانت شقيقة النظرية البنيوية في تفسيرها لاكتساب اللغة، وهذا من خلال مقالاته التي نشرها في مجلة اللغة عام 1909 م language، وعارض فيها سكينر وكتابه اللغوي "السلوك اللغوي" وتابع دراسته وألّف الكتب والمقالات، شرح فيها أراءه حول طبيعة اللغة وكيفية دراسة أساليبها وتحليلها وكيفية اكتسابها، وبهذه الآراء توضح أنّ تشومسكي أول من درس اللغة الإنسانية، كدراسة نفسية معرفية، تدعو هذه الدراسة إلى إدخال المعنى،، ودور العقل ومدى ارتباط الفكر في العملية اللغوية، حيث أن نموها مرتبط بنمو الفكر، وهذا هو الرأي الذي اتخذه تشومسكي في الكشف عن طبيعة اللغة الإنسانية.[2]

4- الفطرة: تشومسكي يرى أن هناك كمّا فطريا لدى الإنسان يجعل معرفته باللغة بالغة في اكتساب اللغة القياسية، حيث أن اللغة تحمل في داخلها كل الخواص الجوهرية والتي تكوّن تركيبها منذ البداية، والطفل في تعلّمها لا حاجة له أن يتعلّم من اللاشيء خواص اللغة التي يكون معرّضا لها،

1 نبيل عبد الهادي وآخرون، تطور اللغة عند الأطفال، ص 101.

2 عبد العزيز إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، ص 252.

بالأحرى، إنه يختار فحسب خيارات بعينها من مجموعة محددة مسبقا، فعلى سبيل المثال تكون اللغات إما أولية الفاعل، مع الفِعل يسبق المفعول به، كما في الإنجليزية، أو آخرية الفاعل مع المفعول به يسبق الفعل كما في اللغة اليابانية، فالطفل يولد وهو عارف أنه يوجد بديلات، وما عليه أن يفعله هو تحريك علبة المفاتيح لتثبيت متحولات اللغة التي يتعلّمها.[1]

إن الحالة البدنية لملكة اللغة عُرفت أنها مرتبطة بتلك المفاتيح إنها شبكة مبادئ اللغة وتلك المفاتيح هي خيارات تُقرّر تحت وطأ التجربة وعند تغيّرها نحصل على مختلف اللغات وهو ما يسمّى، بعيار للبارامترات (أي المتغيرات)، بالمصطلحات التقنية، واكتساب اللغة عند تشومسكي تكون بواسطة الخضوع للشروط التجريبية، ويمكن تغيير المفاتيح على قاعدة المعلومات المحدودة جدّا المتاحة للطفل.[2]

5- القواعد التوليدية التحويلية: أولا عرّف تشومسكي اللغة على أنها استعمال غير متناه بوسائل متناهية، وهذا التعريف وُجِد سابقا عند العرب في تراثهم فيقول الأمدي "إن الأسماء وإن كانت مركبة من الحروف المتناهية فلا يلزم أن تكون متناهية".[3] هذا تعريفه للغة على خلفية فكرية سابقة، من خلال دراسات تشومسكي للغة خاصة في أوجه النظرية التركيبية أسس مجال كبير في مجال التطور الذاتي للسانيات التوليدية والتحويلية وأصبحت دراسة تستخدم كمعيار مميز بين الكفاية

1 نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة عدنان حسن، ط 1، 2009، دار الحوار النشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ص 16.

2 المرجع نفسه، ص 42.

3 أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 17.

اللغوية والأداء الكلامي اعتبر تشومسكي الكفاية اللغوية هي معرفة المتكلم، المستمع المثالي للغته، وهي جودة المهارة التي يمتلكها المتكلم في جعل السامع يفهم كلامه وبلوغ مقصود المتكلم وهذه تسمى عنده القدرة الضمنية للمتكلم من خلال التلفّظ بعدد من جمل لغته الأم، أما الأداء الكلامي هو الاستعمال الفعلي للغة في الظروف المحسوسة.[1]

إن النظرية التوليدية التحويلية هي مجموعة قواعد تمكن الفرد من تفسير البنى التركيبية للغة الطبيعية، وهي تتكون من المكون التركيبي والمكوّن الدلالي والمكوّن الفونولوجي:

المكون التركيبي: هو البنية العميقة لكل جملة تعني دلالة الجملة.

البنية السطحية هي: التفسير الفونولوجي للجملة.

أما المكوّن الأساسي، فهو قواعد إعادة الكتابة من خلالها يتم وضع المشير الركني الذي يعدّ البنية العميقة للجملة المولّدة كالإسناد، الزمن، المكان، الحدث...[2]

أما بالنسبة للمكون الفونولوجي: وهو يختص بكل لغة.

هذه القواعد تُساهم في إظهار القدرة الإبداعية للعقل الإنساني، حيث أنّ البنية العميقة تحدد المعنى ومن خلالها تحوّل إلى البنية السطحية، ولكن هذه الخاصية أو القواعد تختلف من لغة إلى أخرى هذا ما جاء به الديكارتيون بنزعتهم الفلسفية وهو انعكاس لأصول الفكر.[1]

1 أحمد حسّاني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 17- 18.
2 المرجع نفسه، ص 18.

تشومسكي يرى أن النظرية اللغوية لها دور التفسير في كيف يمكن للإنسان أن ينتج الكلام وكيف يفهم جملا لا نهاية لها لم يسمعها ولم يقرأها من قبل، ولهذا ذهب إلى ابتكار نموذج آخر هو نحو بنية العبارة phrase structure grammar. والذي فشل هو الآخر في تفسير وجود البنيات العميقة، مما دفعه إلى إيجاد اتجاه النحو التحويلي، الذي يقوم على نحو بنية العبارة السابق مع إضافة عمليات تحويلية transformationnel والذي يخص المحتوى الدلالي وكذلك عملية التوليد للجمل في لغة ما.[2]

مبادئ نظرية تشومسكي: حسب ما ذكرناه تتمثل في

1. إعطاء الدور لعملية الاكتساب للعقل والفكر البشري.
2. نمو الفكر الإنساني يستدعي بالضرورة نموّ مكتسباته.
3. اعتماد الفطرة لدى الإنسان يجعل معرفته باللغة واصلة.
4. يولد الإنسان وله كمّ من المعرفة بالفطرة وما عليه سوى أن يطورها أو يستعملها حسب قواعد اللغة الموضوعة ويجعلها تتلائم مع متغيرات البنية أو هذه القواعد الموضوعة.
5. اعتمد تشومسكي قواعد النحو التوليدي التحويلي لابتكار بنية العبارة.

1 أحمد حسّاني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 19.

2 جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي- مناهجه ونظرياته وقضياه، جزء 2، القضايا، 2003، مطبعة الانتصار لطباعة الافست، الإسكندرية، ص 126.

يرى ديكارت، وهو أحد الفلاسفة العقلانيين، أنّ العقل لع مبادئ الاستكشاف والابداع ويُخضِع الأمور للتجربة بالتأمل والاستغفار للوصول إلى النتائج أو ما يُريده الإنسان وليس التعلم بتفسير الحقائق بناءً على الاحتمالات والتفسير الآلي، فالعقل هو جوهر فرد متميّز عن الجسد ووسيلة صالحة للعمل في مختلف الظروف، ولو أن للعقل حدود حيث أنه مرتبط بنسبة ذكاء كل شخص، وهنا تخضع عمليات التعلم العامة لهذه النسبة أيضا، بما فيها امتلاك الملكة اللغوية.[1]

تشومسكي وأصحابه من العقلانيين طرحوا العديد من التساؤلات حول اللغة من حيث مبادئ بنيتها، وتشومسكي له العديد من المحاضرات التي جمعها في كتابه اللغة تضم العديد من التساؤلات والتشاورات والاجابات حول العديد منها من خلال المناقشات، ابتداءً من مبادئ بنية اللغة إلى الآفاق الجديدة لدراسة العقل، فتشومسكي منذ نشر كتابه "البنى التركيبية" سنة 1957 م، وهو يبحث عن السبيل لاقتراح السبل للوصول إلى هدف دراسة المادة اللغوية وتغيير المناهج التي كانت تتبعها المناهج اللسانية السابقة، وإحداث التغييرات حول النظرية اللسانية، معارضا الدراسات التي كانت قبله والتي اعتبرت الجانب العقلي في عملية كسب المعرفة واللغة محدودا معتمدين على وصف القاهرة اللغوية.

أسس نظرية تشومسكي التي استندت عليها لاكتساب اللغة

1. الطفل له قدرة فطرية يستطيع بها استخلاص قواعد اللغة، ويمكنه نطق جمل جديدة، لم يسبق لأحد النطق بها.

1 نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة الدكتور حمزة بن قبلان، ص 200- 201.

2. الطفل عند اكتساب لغته يرجع له الفضل في ذلك لأنه يتعلم المادة اللغوية من لغة كلية محددة.

3. يعلم الطفل أن للغة بنيتين واحدة داخلية وأخرى ظاهرية وهكذا يبني فرضيات على الكلام الذي يسمعه ويتألّف من خليط غير مفهوم من الأصوات، ويقوم هو بنفسه ومجهوده بتعديلها تدريجيا.

تشومسكي رغم أنه يُرجع عملية الاكتساب اللغوي لعقل غير أنه يرى أن الطفل من خلال الانصات والاستماع لصيغ الكلام في بيئته يتعلم ولكن حسب رأيه هو أن الطفل عليه أن يصنف الكلام الذي سمعه إلى أصناف قواعدية، ويبني الأحكام التي تفسر كل هذه النظاميات التي يكتشفها في السلوك اللغوي لدى الكبار، حيث عند نطقه جمل جديدة لم يتم النطق بها من أحد من قبل يكون قد استعمل هذه القواعد، كما أنّ روّاد هذه النظرية لم ينفوا التركيبة الوراثية للطفل.[1]

إضافة لهذا فإن عملية التعلم التي من خلالها يتلقى الطفل في مدرسته شيئا من قواعد اللغة مثل: عملية الاشتقاق، المثنى، الجمع والمفرد، ومن خلال صياغة الجمع يستخلص الأوزان اللغوية المعقدة، فمثلا يجمع كلمة رجال على صيغة رجاجيل، وذلك بدون حتى أن يعرفها في المدرسة، وحتى قبل دخوله لها، ويرى أصحاب هذه النظرية بأن تعلم الطفل لهذه القواعد لا يمكن أن يفسر استنادا للنظرية الشرطية، فيقول أينسفلد "إن الشيء المدهش حول اكتساب اللغة أن الطفل يستطيع أن يصوغ نظام من القواعد اللغوية من مجموعة ألفاظ عشوائية، غير منظمة، وغالبا ما تكون غير

1 نبيل عبد الهادي وآخرون، تطور اللغة عند الأطفال، ص 103.

قواعدية، وبما أن الطفل يستوعب هذا النظام الهائل في فترة وجيزة، فإننا نعتقد بأن المحلل الأخوي لدى الطفل موروث، ويسهم إسهاما كبيرا في بلوغ القواعد، سواء كان اكتساب اللغة حسب هذه النظرية أو تلك، فمما لا شك فيه أن الطفل يعلم لغته القومية من خلال ما يتعرض له من خبرات لغوية، أو غير لغوية، فالطفل يسمع في حياته اليومية لغته القومية عبر حديث الكبار أو عن طريق وسائل الاتصال الجماهرية".[1]

إن تشومسكي نظريته لاقت رواجا كبيرا يرى أن الإنسان لا يكتسب اللغة في الواقع إنّما هي مولودة معه، وهو لا يقوم بتصحيح ما فيها من أخطاء كما أنّ الإنسان لا يحتاج سوى القليل من الظروف الاجتماعية والاقتصادية الملائمة بل فقط يطوّرها ويقوم بتعريف النحو على أنّه وصف نجده في كل لغة يصف لنا تلك المقدرة اللغوية.[2]

ونجده يشرح عمل جهاز اكتساب اللغة، بحيث أنّ الفرد يحصد بيانات قليلة ويقوم بتحويلها إلى نظام معرفي غني جدًا، حيث أن الطفل عندما يوضع في بيئة لغوية يسمع مجموعة من الجمل التي غالبا ما تكون غير تامة، ومتشظية وما إلى ذلك، وعلى الرغم من ذلك ينجح خلال وقت قصير جدًّا في بناء قواعد تلك اللغة وتطوير معرفة معقدة جدًا لا يمكن اِستخلاصها بالاستنباط ولا بالتجريد مما حصل عليه من خبرة، لذا فهو يستنتج أن المعرفة المتمثلة داخليا لا بد أنّها محددة بدقة من طرف ملكة بيولوجية ما، ولا ينكر تيار تشومسكي اختلاف القواعد اللغوية الخاصة بالطفل عن القواعد

1 نبيل وآخرون، تطور اللغة عند الأطفال، ص 104.

2 ينظر، عبد الرحمن الشيخ عبد الحليم بوبات، اكتساب اللغة لدى الطفل بين تشومسكي وجان بياجيه (دراسة مقارنة)، 2019، جامعة أحمد دراية أدرار، كلية الآداب واللغات، ص 28.

اللغوية عند الراشدين البالغين لأنه في النهاية كل تين مرتبط بالسن والنضج ، وإدراك الطفل وسلامة الحواس الباثة والمستقبلة لديه.[1]

يمكننا القول أنه من خلال النتائج التي توصلت إليها الدراسية العقلية هو أنه لم تهمل الدور الذي يأديه الإنسان من خلال تفكيره واستخدام عقله في الابداع والربط والفهم وكذلك معرفة الموجودات الذهنية، وهذا هو جوهر الإنسان في حدّ ذاته على عكس النظرية السلوكية التي أرجعت كل الدور على الجانب النفسي ويتحكم في السلوك البشري والذي وضعته تحت ما يسمى بالمثير أي الحدث الواقع تحت المثير وما يبديه الإنسان هو الاستجابة وهذا رأي محمود يُهمل الجانب العقلي الفكري عنده، غير أنهما لم ينفيا البيئة وهي العامل الأول الذي ينشأ فيه الفرد ويأخذ منه ما يجده ويتحكم في المتغيرات خاصة وأنها تختلف من مكان لمكان ومن زمان لزمان.

1 ينظر، عبد الرحمن الشيخ عبد الحليم بوبات، اكتساب اللغة لدى الطفل بين تشومسكي وجان بياجيه (دراسة مقارنة)، ص 29.

المبحث الثالث: النظرية المعرفية

لنظرية المعرفية تبنّاها الكثير من الفلاسفة على حسب تصوراته واتجاهاته المختلفة، وكلها تصبّ في كيفية تحديد معيار لكسب المعرفة، وهنا يتسنى لكن سامع أن يطرح سؤاله الموضوع تحت كيف يمكن للفرد اكتساب المعرفة، وقد شرعتها الدراسة الفلسفية الغربية وحددتها على أربعة مصادر هي أولها، الإدراك الخارجي وثانيها الذاكرة، وثالثها الوعي الذاتي ويدخل فيه التأمل والوعي الداخلي، ورابعها العقل.[1]

اللغة عند النظرية المعرفية وعوامل اكتسابها

إنّ من مؤسسي هذه النظرية هو بياجيه (Jean pioget) 1896 وهي تتعلق بتفسير تعلم اللغة عند الأطفال، ولو أنها تتعارض مع المرتكزات الفكرية للنظرية العقلية التي قال بها تشومسكي، رفضت هذه النظرية أسس اكتساب اللغة عن طريق التعزيز والتقليد التي جاءت بها النظرية السلوكية، ونفى اكتساب اللغة عن طريق الاجراء الشرطي كذلك، وقد ميّز بياجي بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي، فالأداء هو الحصيلة اللغوية المكتسبة بينما الكفاية اللغوية لا تكتسب إلا بناء على تنظيمات داخلية ثم يُعاد تنظيمها على أساس تفاعل الطفل في بيئته، بياجي لا يتفق مع تشومسكي في وجود نماذج للنظام القواعدي الذي يشكل الكلمات اللغوية عند الطفل، وإنما يوجد استعداد فطري لدى المتعلم.

1 رودرك، م. تشيزهولم، نظرية المعرفة، تعريب- الدكتور نجيب الحصادي، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر، كندا، ط 1، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، 1995 م، ص 81.

تربط الظاهرة اللغوية بالصوت الإنساني ووجود الإنسان، كائن مضطر باستعداده الفطري للخطاب والتواصل في مجتمعه، الصوت هو خاصية إنسانية تربط بالإنسان وآلتها اللسان، والأصوات هي علامات منسجمة مكونة تحت بنية صوتية، ولذلك فإن المظهر الحسي في النظام اللساني هو المظهر الصوتي، والصوت أثر سمعي ينتج عن طريق ذبذبة مستمرة فهو ظاهرة فيزيائية تتحقق بها عملية التواصل هذه العملية تتكون من الانتاج وهو إنتاج الأصوات، وثانيا الانتقال وهو انتقال الأصوات عبر الأثير على شكل ذبذبات تحدث تموجات في الهواء، أما الاستقبال فهو يحصل من طرف استقبال الأذن للأمواج الصوتية إذن هي مراحل فيزيولوجية تحصل عن طريق المخ وجهاز النطق كمرحلة أولى وثانية، أما ثالثا تعتمد على مرحلة السمع بتركيبه العضوي، يحصل هذا في إطار النشاط العصبي ثم الأجهزة الأخرى الصوتية النطقية وأجهزة السّمع، فالنشاط العصبي يقوم بإنتاج الأصوات اللغوية، وذلك أولا عبر عملية إنتاج الزفير بضغط الحجاب الحاجز على الرئتين وطرده إلى خارج الفم عن طريق الممرات والتجاويف الفموية والأنفية، ثم يأتي دور الحجرة، والوترين الصوتيين، والحلق، واللسان والشفتين، وكل هذا يساهم في إحداث الصوت، والأصوات يوجد فيها قسمان الأصوات الصائتة والأصوات الصامتة.[1]

يشكل أفراد المجتمع اللغوي نظام لساني معين مشتركا بينهم، يملك هذا النظام البالغ وليس الطفل، لأنه لا يمكن حصوله على الملكة اللسانية دفعة واحدة للتعبير وتحقيق عملية التواصل، ولحصوله عليها عليه أن يمر بمراحل، أولها الصراخ، وثانيها المناغاة، وهذه المناغاة قد تكون ناتجة عن

1 أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 98- 99.

الانزعاج أو الإحساس بالتوتر وقد تكون ناتجة عن السرور والغبطة ناتجة عن الشعور، ثم ثالثا تليها مرحلة الأصوات التلقائية ونطق بعض الحروف الشفوية مثل (ب – م) والأسنانية مثل حرف (ف) والأسنانية اللثوية مثل (د – ت).

وهكذا حتى يتم وصوله رابعا إلى مرحلة التقليد في الشهر الخامس من عمر الطفل يبدأ بالتلفظ بأصوات تلقائية تميل إلى التشكل المصحوب بمعنى ويحصل هذا عن طريق التعزيز، وهذا بعد سماع الطفل للغة المحيطين به ويسمع صوته فيشعر بالقوة والحماس والسرور، بعدها يحصل نمو الألفاظ في لغة الطفل ويصبح مدركا للغته ويستطيع تشكيل الأصوات في مجموعات مقطعية تكون كلمات دالة على معاني يحدث هذا كله عن طريق الادراك السمعي والحركي والحسّي (اللمسي والبصري)، كلمات مثل: ماما، بابا، تاتا، دادا... إلخ.[1]

وهكذا تنمو مفردات الطفل حسب نموه الفيزيولوجي، والطفل لا يمكنه معرفة مدلول الكلمات الملفوظة إلا بعد أن تكتمل لديه القدرة على تكوين صورة ذهنية قارة، أو المفاهيم عن الأشياء إلى تحيل إليها هذه العلامات في الواقع، وبعد اكتمال نموه الفيزيولوجي يجد ملكته اللغوية كاملة تامة، وعلى هذا أجريت العديد من التجارب ومن بينها تجربة الباحثة نلسون (Nelson -1937)، حيث رأت أن عملية اكتساب الطفل لمعاني لغته تسير أولا على تمييزه للأشياء الجديدة، وعندما يقوم باللعب مثلا ويرى الكرة تصطدم بالحائط يجد وظيفتها ويدركها، ويراها تتدحرج وترتد وهكذا يكتسب مفهومية ذهنية في عقله يعرف بها علاقة الدال ومدلوله، وهناك نجد محاولة الباحثة النفسية

1 أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 59- 60.

كلارك (chark - 1973)، رأت بأن الطفل يدرك الأشياء على أساس سِماتها خاصة الشكل والحجم واللون، ويركزها الطفل في ذهنه ويحفظها مثل "هَوْ بمعنى كلب" ويعرف اسم القط والخروف والبقرة والحصان ويحفظهم حسب أشكالهم. وهنا نجد الباحثة كلارك ركزت على السمات والأوصاف للأشياء في حين نلسون حددت الجوانب الوظيفية للشيء.[1]

يرى بياجيه أن التقدم في المعرفة يحدث قبل نمو اللغة، في حين أن واطسون مؤسس النظرية السلوكية يرى أن التفكير هو اللغة، وبياجيه يقول بأن الطفل تكون لديه أفكار وأشياء لا يمكنه تسميتها وهذا يدل على أن عدم امتلاكه للغة لا يمنعه من التفكير، فاللغة عنده هي انعكاس المعرفة بل أن تكون مستقلة عنها، ويرى أن الطفل له كلام في نفسه وهو كلام مركزي ذاتي لا يسمعه أحد، والثاني كلام مكيّف مع المجتمع ويُخرجه للمستمع، وهنا نجد وجهة نظر بروتر الذي عارض نظرية بياجيه ورأى أن القدرة اللغوية تؤثر في كل عنصر من تفكير الطفل تقريبا. ومراحل تطور اللغة عنده تبدأ أولا عبر مرحلة الحدوث الفعلي والعملي، وذلك من خلال التعلم بالعمل وبدون كلمات مثل العزف على الآلات الموسيقية، أما المرحلة الثانية هي عملية تصور أو الحدث التصوري مثل تصور مركبة وتصور أصوات شبيهة بأصوات عديدة مثل صوت الجرس مثلا.[2]

ربطت النظرية المعرفية كل من المعاني ودلالات الألفاظ بالقياس والاستجابة الحرة، وأن أبسط السبل لمعرفة ما تعنيه كلمة معينة مثلا هو أن نسأل الشخص ماذا تعني لك كلمة كذا وكذا؟ كما أن

1 أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 63.

2 نبيل عبد الهادي، تطور اللغة عند الأطفال، ص 146.

قدرة الفرد على التمييز تعني تعيين الأشياء حسب مفهومها المطلوب، مثل مدرسة، مسجد، صلاة فإذا طُلب منه اختيار من الكلمات الثلاث ما لا تتعلق بالدّين فسيختار المدرسة، وهذه النظرية المعرفية اعتمدت أيضا عملية التداعي الحر، وهو ورود الكلمات في ذهن الطفل عند سماعها فيعطيها مفهوما مُعطى له قبالا عنها، وكذلك اعتمدت التمايز الدّلالي، وهذه الطريقة ابتكرها أوزكود عام 1957، لقياس المفاهيم مثل النقائض مثل: سعيد – حزين، سريع – بطيء، صلب – لين ، عبر جداول ويتم الاختيار هذه النظرية لم تُهمل عامل الذاكرة في تحليل الخطاب ومعرفة الألفاظ الجديدة من القديمة، وتتأهب الذاكرة للاستفهام والبحث عن المعلومات المطلوبة.[1]

وضع بياجيه نظريته هذه المعرفية كخبير بيولوجي كمان يميل في دراسته حول نمو الطفل ونمو عملياته المعرفية إلى النضج، والاستيعاب، واعتبرت تجاربه في مجال علم نفس الطفل، أما واطسون استند قليلا إلى الحركة الفلسفية المعروفة باسم الوضعية المنطقية بهذه ارتبط بأصحاب نظريات التعلم، والذين ربطوا العلم مع الأحداث التي يمكن ملاحظاتها وقياسها، وربطوا التعلم بالنمو الفيزيولوجي والبيولوجي، كما رأى أصحاب هذه النظرية أن النمو هو ما يجعل الطفل مكتسب مهارة التعليم، خاصة من الناحية اللغوية، وبعد أن تحدثنا سالفا عن مراحل اكتساب اللغة عند هذه النظرية، سنتحدث عن اكتساب الطفل مهارة القراءة حيث أن ضعفها يؤدي إلى ضعف مستواه الدراسي، ولهذا على المربيين أن يولوها اهتماما كبيرا، وهي تُبنى على أساس الخبرات الأولى التي واجهها الطفل، مثل ما استجاب الطفل لصورة القطة بكلمة "مياو"، فهو يربط الصورة بخبراته السابقة، تبدأ مرحلة

1 نبيل عبد الهادي، تطور اللغة عند الأطفال، ص 147- 148.

القراءة الفعلية في المدرسة خاصة في السنوات الأولى، ومنها يكتسب إتقان القراءة الجهرية والصامتة، ولاحظوا أن الطفل الذي يتكلم كثيرا ويتلذذ الاستماع إلى القصص والأناشيد غالبا ما يكون متفوقا في دراسته، كما أن الحافز الداعم له يجب أن يكون من والديه دون الضغط عليه والتسبب له في الخوف والتوتر والقلق، بل بتشجيعه ومكافأته، ومنه تدريبه على الكتابة من خلال الممارسة أيضا.[1]

من خلال تعلّم الكتابة يميل الطفل إلى التعبير والكلام الشفوي أكثر من التعبير التحريري، ولكن أثناء تلقيه التعليم الكافي يصبح لديه محصول لغوي كافي بعد نمو قدرته الحركية إلى الحد الذي يمكنه من السيطرة على القلم ويتعلم الكتابة بذوق جميل مفعم بالموضوعات الانشائية الوصفية، وتجده يريد الموازنة بين قدرته القرائية والكلامية.[2]

إن عملية التواصل اللغوي عند الطفل تعتمد على عملية التلقي والإصدار بمعنى الاستقبال والإرسال، وبهما يتم رعاية النمو اللغوي، ونجد بأن هناك عوامل ترعى النمو اللغوي، ومن بينها أولا، الشعور بالطمأنينة وتجنب الشّجار والمشاحنات من طرف عائلته، ثانيا المعاملة الحسنة وتقديم الرعاية والعطف، ثالثا مُحادثتهم وتدريبهم حسب قدراتهم العقلية، ورابعا ينبغي عدم المغالاة في قص حكايات خيالية كي لا يستطيع الطفل إيجاد عملية التوازن بين الواقع والخيال، وتشجيعه على القراءة الجهرية، والابتعاد من قراءة الكتب والقصص المرعبة والتي تثير لديه القلق والتوتر، وبهذا يُمكن أن يستطيع

1 ينظر حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، علم النفس النّمو، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الأجزاء، 2017، 547- 548.

2 المرجع السابق، ص 550.

الطفل بناء نمو فيزيولوجي سلوكي إيجابي سواء من خلال التعلم أو من خلال لثقافة والتي ستظهر جليا في أفعاله وأقواله، واكتساب شخصية متوازنة وفعالة. [1]

أهم المبادئ الأساسية للنظرية المعرفية من خلال دراسات جون بياجيه

الذكاء – التكيف – النمو – القدرات الفطرية، وكذلك التحول والانتقال من مرحلة إلى مرحلة وكأنه يحدث تطور معرفي من خلال إنشاء علاقة بين الخبرة والنضج.

وكل هذه المبادئ تكون مزيج يسمح للإنسان بأن يُكوِّن ملكة لغوية تقوده للمهارة اللغوية وحسن الأداء الكلامي إذ لا يمكن للإنسان نطق ما لا يمكن معرفته، وهذا يندرج ضمن مجموعة مصادر المعرفة التي تحدث بها بياجيه.

ولا طالما لعبت الفروق الفردية والظروف الاجتماعية والنجاح في تعلم اللغة الثانية مثلا تحدّ عظيم، ولهذا تجد الباحثون والتربويون يتطلعون إلى أن يعرفوا كيف تترابط المغايرات المعرفية والشخصية، وما هو طريق تدخل الخبرة في التعلم البشري، وإضافة إلى اللغة الأم تجد كل من مجهودات الدارسين يأملون في مساعدة المتعلمين بخصائصهم المختلفة لتي يحرزوا نجاحا في تعلم اللغة الثانية، والتي من نشأنها تطوير المجتمع لأكبر وهذا من شأنه إتاحة الفرصة للتعليم، والتوظيف، والتعبئة وغيرها من الفرائد الاجتماعية. [2]

1 حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، علم النفس النّمو، ص 551.
2 علي أحمد شعبان، كيف نتعلم اللغات، ص 120.

يعتبر بياجيه المرحلية أنها الخطوة الهامة في طريق النمو وهي تضم مجموعة من المكتسبات في مراحل مرور عمر الفرد ابتداءً من نشوء تراكبيه العقلية، تتغير حسب تقدم الزمن وكل مرحلة لا تلغي سابقتها بل تكوّن مجال ومفهوم تجميعي للتفكير، يسير وفق التتابع.[1]

خصائص المرحلة الأولى: الحسية الحركية.

1- تشكل ردود الأفعال المنعكسة ونجد الرضيع يستجيب لإحساساته للعالم الخارجي من سمع وشم وتذوق ورؤية.

2- القدرة على التعامل مع الامور اللغوية مثل (بابا - ماما – دادا).[2]

أما بخصوص التعلم وباعتبار أنّ المتعلّم هو الذي يبني المعرفة معتمدا على ذاته فقط، يلاحظ، ينتقي، يصوغ فرضيات، يحلل يتخذ قرارات، ينظم ويستنتج ويدمج تعليماتها الجديدة في بنيته المعرفية أو الذهنية الداخلية، حيث أنّ سيرورة تعلمه تمر بصراع بين مكتسباته السابقة والتعليمات اللاحقة، وذلك على أربعة مراحل وهي سلما للارتقاء.[3]

إن النمو المعرفي عند بياجيه يمرّ عبر النمو العقلي للفرد، نمو ذكاءه في المرحلة الممتدة من الولادة إلى السنة الثانية: تستطيع الحديث عن إمكانية "دعم التعلّم الحسّي الحركي للرضيع، وذلك بوضعه في سياقات أو وضعيات تعلمية تتضمن وسائل وأدوات يتوحد منها التّعزز مختلفا لأنشطة التنسيقية بين

1 ينظر، العالم بياجيه، (1896 – 1980 م)، نظرية النمو المعرفي، ص 3.

2 المرجع نفسه، ص 4.

3 ينظر، لعشيشي أمال، محاضرات في نظريات التعلم، جامعة لونيسي علي البليدة -2-، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2013، ص 48.

الحواس والحركات، أو بين الحركات نفسها لما في ذلك من تأثير إيجابي Schèmes d'action وهي حسب تعريف بياجيه نوع من الحركة المنسقة التي تختزن على مستوى الذاكرة الحسية الحركية، وتكون قابلة لأن يكررها الرضيع لمواجهة وضعيات متنوعة ومتشابهة في بعض العناصر كالأنشطة التعليمية الخاصة بهذه المرحلة يجب أن تستهدف ما يسمّيه بياجيه بالذكاء الحسّي الحركي والذكاء العملي.[1]

أما المرحلة الممتدة من السنة الثانية إلى السنة السابعة أو الثامنة وهي يتصرف فيها الطفل بمرحلة الذكاء قبل العملياتي وهي مرحلة تعلمية بعيدة عن التجريد هي فقط مقتصرة على الحركة والتحولات اللفظية وهي بداية اللغة والتفكير لدى الطفل، وفي هذه المرحلة يقوى الطفل ويحاول الحصول على تكوين يدعم به المفاهيم وهي عبارة عن فئات classes مجردة تتكون من عناصر متشابهة كليا لأقل في خاصية واحدة، ويمكن أن يتعلق الأمر لأكثر من خاصية... في هذه المرحلة يقوى الطفل خاصة وأنه العمر المناسب الذي يجب أن يوضع الطفل فيه تحت إطار تعليمي ونشاط حسي مصحوبا بالتعبير اللغوي المتنوع، وبالزيادة في حجم التبادل أو التداول التواصلي بين الأطفال وفق أهداف تربوية مقصودة ومحددة.[2]

1 ينظر، لعشيشي أمال، محاضرات في نظريات التعلم، ينظر، لعشيشي أمال، محاضرات في نظريات التعلم، ص 49.
2ينظر لعشيتي أمال، محاضرات في نظريات التعلم، ص 49.

أما من السنة الثامنة حتى الثانية عشر من العمر، فالطفل يأخذ مرحلة يربط فيها الموضوعات الملموسة مع المحسوسة، ويستطيع بناء العديد من المفاهيم الرياضية (العدد مثلا) والمنطقية (علاقات فئات) والفيزيائية (الحجم، الوزن، الكتلة) والهندسية (الطول، العرض...)[1]

أما المرحلة الرابعة هي من الثانية عشر إلى سن الرشد: هو وقت اكتمال وبلوغ ذكاء الفرد ويعي كل العمليات الرياضية والمنطقية ويملك بنية كلية أو شاملة ويحصل على استعداد يمكنه من معالجة الموضوعات وبناء فكريات ومعرفيات ويقدر أن يمارس الاستنتاج والبحث والتعلق بالموضوعات التعليمية المختلفة.[2]

بياجيه من خلال نظريته المعرفية أو الادراكية يرى أن الأطفال يولدون مجهزون ومع نمو ادراكاتهم يستوعبون الموجودات الخارجية ويحسنون فهم الاتصال وهو يفقهون مفاهيم الأشياء وتتطور قدراتهم المعرفية.

إن اللغة اليومية تصف موضوعات تجربتنا، فمثلا المنضدة التي نكتب عليها صلبة، وكذلك الحال بالنسبة للكرسي الذي أجلس عليه ومن حقي أن أوضح أو أختار الشيء الصلب منهما عندما أريد أن أعلّم شخص ما فكرة الصلابة، ولكن بمقابل هذا قد يرى المتعلم ما أقوله خطأ إذا لم أبرر الفكرة بدليل مثلا إذا رأى أن هذه الشمس، وهكذا يجب القول أن الفكرة التي تنادي بها والتي يمكن

1 المرجع نفسه، ص 49.
2 المرجع نفسه، ص 50.

أن تجد لها صدى يجب أن مدعومة لأن الموقف العلمي منها سائد ولا بد أن يكون تكون له الكلمة الأخيرة بالأخير.[1]

واللغة هي واسطة تعمل بين نقل الأفكار من ذهن إلى آخر عن طريق الكلام أو الكتابة وتمتلك طريق التعلم والدراكات، كمبدأ أساسي عند أصحاب النظرية المعرفية.

1 ينظر فؤاد زكريا، نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان، الطبعة 01، 2005 م، الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 24.

خاتمة

خاتمة

لولا اللغة ما استطاع الإنسان تقديم ضروریاته في الحیاة وتطویر مجتمعه بتحقیق ما تقتضیه هذه الحیاة وحتى الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وعلمه مالك وعلمه ما لا یعلم بوضعه لدین قیم یوجهه ویهدیه، وهذا بلغة مبینة وصفت كإعجاز لیس له مثیل أو بدیل، لقد أثار موضوع اللغة اهتمام العلماء والباحثین منذ أن خلق الإنسان.

وبتطور الأزمان تمكن العرب قدیما بترسیخ ما جمعته حول اللغة كما أنها دونت مختلف الدراسات ونتائج بحوثها ورغم كثرتهم إلا أنه كانت هناك دراسات ذات أهمیة بالغة لا یمكن الاستغناء عنها حول موضوع اللغة، فنجد أولا العالم ابن جنّي رأى أن اللغة عبارة عن أصوات معبّرة وهي الكلام وأصلها تواضع واصطلاح وهي سمة كلام العرب وكل ما یتعلق بها من تصرف في النحو، مستدلاً بآیات القرآن وما في قوله {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا} حیث أن الله علّم آدم أسماء جمیع المخلوقات بجمیع مختلف اللغات، فهي مواضعة وأصلها من المسموعات. أما العالم الفیلسوف ابن رشد فقد أرجع الاكتساب اللغوي إلى عامل صحة الفكر والممارسة بالتكرار والنّقل وهذا كله تحت ما یسمى بالإدراك والوعي والاستیعاب في بیئة ملائمة توفر ظروف الاستقبال والتعلم، وأعطى اللغة ووضعها في إطارها النحوي وتبیان الدال والمدلول، أما بخصوص دراسة العالم العربي ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع فهو من منظوره یصف اللغة على أنها ملكة لسانیة تحمل قوة الإفصاح والنطق وایصال المعنى الحقیقي والدلالي للمخاطب، وهذا إن دلّ فإنّما یدل على قوة الفهم والتعلّم والوصول لهذا لن یكون هذا سوى بالتقلید والكتابة والممارسة الشفهیة، وإن تغیر الدلالات تتغیر بتغیر مقام

الخطاب ويدخل هذا أيضا تحت دور النحو بتغير حركات الإعراب، وهنا أكّد على قوة السّمع وضرورة الصحة الجسدية وأعضاء الاستيعاب والنطق، وأدرج هذا تحت ما يسمى فقل الكلام وصياغته، باعتماد انتقاء اللغة وتفعيل دور القياس عند السّماع دون الخروج عن أهمية الحفظ والكتابة، وخاصة أن العرب قديما هم أثرى الأمم شعرا ونثرا وخطابة، أمّا العالم الفيلسوف أبو نصر الفارابي الذي أرجع عملية الاكتساب والمعرفة إلى معرفة الحروف والألفاظ وحفظ معاني الجمل المكونة منها بتنسيقاتها التصورية العقلية التي توضح دلالات اللغة واقعيا وتجريديا، وأن اللغة عنده توارثت بالانتقال والتداول من خلال الخطابات وفهم الأصوات، دون إهماله لدور جهاز النطق عند الإنسان وحتى أنه أعطى الإشارات معنى أنها أداة تواصل، وهذا كله أدرجه العالم الفارابي تحت ما يسمى بالفكر الإنساني، وأعطى النحو حقّه في هذه الدراسة كون اللغة بيان تصاغ تحت قالب المعاني والدلالات.

هذه كانت معظم المبادئ الأساسية لهؤلاء العلماء العرب كمثال فقط ولمحة مصغرة عن دراساتهم التي لا تعدّ ولا تحصى.

أما الدراسات الغربية والتي تندرج في إطار نظريات حديثة حاولت الوصول إلى إرساء قواعد أساسية لبلوغ طرق اكتساب اللغة، فنجد نظرية سلوكية قادها روّاد اعتمدوا السلوك الإنساني محورا للكسب والمعرفة تحت أسباب دافعة أطلقوا عليها اسم الاشراط، والمثير والتعزيز ومن بينهم الرائد جون واطسون، ورأى أن السلوك هو استجابة شرطية ورد فعل لمنعكس شرطي، ويضع الإنسان تحت أسباب تجعله يتعلم ويتطور ويظهر هذا على سلوكيته في التعامل مع بني مجتمعه، ونجد أيضا بافلوف وسكينر وبعض من متتبعيها، الذين رأوا أن سلوك الإنسان هو رد فعل تجاه مثيرات خارجية تحددها

البيئة، فثورندايك أبرز قانون الأثر وربط بين المنبه والاستجابة، وتطورت دراستهم لإضفاء مفهوم التعزيز والمعزز وتشكيل السلوك وغيرها.

في حين هناك ثاني نظرية غربية أرجعت دور الاكتساب والوصول إلى المعرفة إلى العقل والادراك مع نمو الطفل في بيئة يستطيع من خلالها التعلم وأن اهتمامه ما هو إلا إدراكه وحافزه القوي الذي يدفعه إلى حب التطلّع والاستكشاف وهو بهذا يستطيع أن يخدم أفكاره بغية المعرفة فالعقلانيين مثل تشومسكي بينوا أن طبيعة العقل البشري أساس المعرفة عن طريق كل التجارب الزمنية التي يمر بها الفرد في حياته، أما أصحاب النظرية الثالثة وهتي النظرية المعرفية فقد أولت الاهتمام إلى تطوير ذات الإنسان وتربية النفس على التعليم والتدريب وأن الفرد وهو يتأمل الموجودات يستطيع تكوين ملكته المعرفية الكاملة من خلال إدراكه للحوادث وتكرار حدوثها في حياته مما يعطيه الخبرة وتكوين الدلالات وهذا ما ذكره بياجيه في دراسته لسلوك الإنسان، وهناك نظرية رابعة درست اكتساب اللغة من حيث وظيفتها ودور وحداتها، لم تتطرق لها ، وكلها دراسات نظرية كان أهم موضوعها هو اللغة وماهيتها وحقيقتها وكيفية اكتسابها وتعلمها والحصول على الملكة اللسانية التي تجسّد الأداء الكلامي الجيد سواء في اللغة الأم أو اللغة الثانية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر

- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط 3، 1966، مكتبة الانجلو المصرية، شارع محمد فريد، القاهرة.
- ابن خلدون، كتاب المقدمة، ط 04، بيروت، دار الكتب العلمية.
- أبو الفتح عثمان بن جني، كتاب الخصائص، ج 1، مطبعة الهلال بالعجالة، مصر، 1331 هـ – 1913 م.
- أحمد حساني، كتاب دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، 2009.
- أحمد حساني، كتاب مباحث في اللسانيات، ط 2، 2013، دبي الكرامة الامارات العربية المتحدة.
- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط 2، 2005، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
- جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي- مناهجه ونظرياته وقضياه، جزء 2، القضايا، 2003، مطبعة الانتصار لطباعة الافست، الإسكندرية.

- جورج إم غازدا وآخرون، نظريات التعلم، دراسة مقارنة، ترجمة د. علي حسين، ومراجعة الدكتورة عطية محمود هنا، 1983 م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- جون ليوتر، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق الدكتور حلمي خليل، الطبعة 01، 1985، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، علم النفس النّمو، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الأجزاء، 2017.
- حلمي خليل، كتاب دراسات في اللسانيات التطبيقية، علم اللغة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2003.
- خالد محمد الزواوي، كتاب اكتساب وتنمية اللغة، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط 1، 2005.
- سميح دغيم، كتاب موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، جزء 01، مكتبة بيروت، لبنان، طبعة 01، 1998.
- سمير نعيم أحمد، النظرية في علم الاجتماع، دراسة نقدية، جامعة عين الشمس، دار الهاني للطباعة والنشر، 2006.
- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى بك وآخران، جزء 01، منشورات المكتبة العصرية صيدا –بيروت.

- عبد الستار إبراهيم وآخرون، العلاج السلوكي للطفل، أساليبه ونماذج من حالاته، سلسلة كتب ثقافية شهرية من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 180، 1978.
- عبد العزيز إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، 1427 هـ/ 2006 م، ط 1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- عبده الراجحي، كتاب فقه اللغة في الكتب العربية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية وبيروت العربية.
- عز الدين إسماعيل، كتاب المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، مكتبة غريب للطباعة والنشر، رحمك، 2000.
- علي القاسمي، كتاب الممارسات اللغوية الطفل واكتساب اللغة بين النظرية والتطبيق، العدد 04، 2011.
- فؤاد زكريا، نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان، الطبعة 01، 2005 م، الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.
- محمد آيت حنّا، الرغبة والفلسفة مدخل إلى قراءة دلوز وغوتاري، ط 02، 2022، الكويت، الشويخ الصناعية.
- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط الحديث، قسم المعاجم والقواميس، راجعه: أنس محمّد الشامي وآخر، 1429 هـ-2008 م، دار الحديث، القاهرة.

- المعجم الوسيط المؤلف، مجمع اللغة العربية، ط 04، مكتبة الشروق الدولية 2005.
- ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون (دراسة ألسنية) ط 1، 1406 هـ-1986 م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الحمراء، لبنان.
- نبيل عبد الهادي وآخران، كتاب تطور اللغة عند الأطفال، ط 1، 2008، مكتب بيروت.

المراجع

- ابن رشد، كتاب المقولات، حققه المرحوم الدكتور محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 1980، -جزء 2، الفصل 4، العلم والملكة.
- أبو الوليد بن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة، تحقيق الدكتور محمد سليم سالم، مطبعة دار الكتب، 1978، جمهورية مصر العربية.
- أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، حققه وقدّم وعلّق عليه محسن مهدي، دار الشرق، بيروت، لبنان، 1986، طبعة 1.
- أبو الوليد بن رشد، الضروري في النحو، تحقيق الدكتور على عبد الله وآخر، ط 1، 2010، الصحوة للنشر والتوزيع، مصر.
- أنور محمد الشرقاوي، التعلم، نظريات وتطبيقات، 2012، نشر مكتبة الأنجلو المصرية.
- رودرك، م. تشيزهولم، نظرية المعرفة، تعريب- الدكتور نجيب الحصادي، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر، كندا، ط 1، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، 1995 م.

- سهيل زكّار، المقدمة، ج 1، من تاريخ ابن خلدون المسمّى -ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1421 هـ/ 2001.
- الصحة النفسية منظور ديناميكي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة، ط 2، 2004، الناشر المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان.

(مكتبة نور) .https://www.noor-book.com

- عدنان محمد سلمان، كتاب الفارابي وآراؤه اللغوية -في كتاب الحروف- كلية الآداب، جامعة بغداد، جزء 1، ط 1.
- علي أحمد شعبان، كيف نتعلم اللغات، الطبعة الأولى، 2006، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة.
- محمد علي النجار، كتاب الخصائص، ط 3، 141، الهيئة المصرية العامة للكتاب ج 1.
- نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة عدنان حسن، ط 1، 2009، دار الحوار النشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا.
- نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة الدكتور حمزة بن قبلان المزيني، ط 1، الدار البيضاء، دار توبقال، 1990.

المجلات

- العالم بياجيه، (1896 – 1980 م)، نظرية النمو المعرفي. الموقع: https://www.noor-book.com

- علي راجح بركات، نظريات التعلم السلوكية، المدرس بوك، الموقع: https://www.noor-book.com
- لعشيشي أمال، محاضرات في نظريات التعلم، جامعة لونيسي علي البليدة -2-، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2013.

المذكرات

- سعيدة فاضلي، تطور الأصوات اللغوية ودلالتها عند الطفل من خلال كتاب تطور اللغة عند الاطفال لنبيل عبد الهادي وآخرين عرضه وتحليل، 2015، جامعة أحمد دراية أدرار، كلية الآداب واللغات.
- عبد الرحمن الشيخ عبد الحليم بوبات، اكتساب اللغة لدى الطفل بين تشومسكي وجان بياجيه (دراسة مقارنة)، 2019، جامعة أحمد دراية أدرار، كلية الآداب واللغات.

الملخص

ولأن اللغة هي أساس حياة الإنسان فإن موضوع هذا البحث يهدف إلى عرض دراسة مصغرة حول الاكتساب اللغوي، بداية من إعطاء تمهيد تعريفي أولا الاكتساب ثم اللغة؛ واللغة في القرآن الكريم وأدلة اختلافها ثم تطرقنا بعدها إلى وتوضيح أهم العوامل المساهمة فيه وذكرنا أهميته، ومن خلال معرفة الاكتساب وتعلم اللغة كموضوع قديم عرجنا أولا حول آراء بعض العلماء العرب القدامى له كنموذج فقط على غرار كثرتهم، كما تدرجنا ثانيا إلى أهم الدراسات الغربية التي امتدت لهم وما تضمّنته من وضع أسس وفرضيات للوصول إلى تعلم اللغة وإمكانية توظيفها، وهذا لأهميتها كنتاج علمي يهدف إلى الوصول إلى تحقيق اتصال إنساني عالمي في ظل انتشار العلوم والمعارف وازدهار التكنولوجيا ووسائل الاتصال ما يجعل الحاجة إلى تعلم اللغات مطلب ملحّ أكثر مما كان عليه، وجاءت هذه الدراسات العربية والغربية بإنتاج دراسات وبحوث، واختلفت الآراء والأفكار حول اللغة، ومع هذا لا يمكن الوصول لنقطة النهاية، حيث أن الدراسات حول هذا الموضوع لن تتوقف، وموضوع هذا البحث ما هو إلا لمحة ووصف لبعض الدراسات السابقة.